

المقارن

كتاب الأدب والمروءة
عني بنشره الشيخ طاهر الجزائري
بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين قال صالح بن جنان: اعلم أن العرب قد تجعل للشيء الواحد أسماء وتسمي بالشيء الواحد أشياء فإذا سح لك ذكر شيء فاذكره بأحسن أسمائه فإن ذلك من المروءة وإنما الرجل بمروءته فالمروءة اجتناب الرجل ما يئسبه واجتناء ما يزينه وأنه لا مروءة لمن لا أدب له ولا أدي لمن لا عقل له ولا عقل لمن ظن أن في عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره وشتان بين عقل وافر معه خمسون عقل كلها وافر مثله ومن عقل وافر لا فائدة معه ومن ذلك قول الشاعر:

وما أدب الإنسان شيء كعقله ... ولا زينة إلا بحسن التأدب

وقال أن الأفتدة مزارع الألسن فيمنها ما يبيت ما زرع فيه من حسن ولا يبيت ما سمح ومنها يبيت ما سمح ولا يبيت ما حسن ومنها ما يبيت جميع ذلك ومنها لا يبيت شيئاً وإن من المنطق لما هو أشد من الحجر وأنفذ من الإبر وأمر من الصبر وأحر من

الأسنة وأنكد من زحل ولربما احتقرت كثيراً منه على حرارته ومرارته وتكد مخافة ما هو أحر منه وأمر وأفزع وأنكر وفي ذلك قول الشاعر:

لقد أسمع القول الذي كاد كلما ... يذكر تيه الدهر قلبي يصدع
فأبدي لمن أباداه مني بشاشة ... كأني مسرور بما منه أسمع
وما ذاك من عجب به غير أنني ... أرى أن ترك الشر للقمر أقطع
وقال في ذي الوجهين: من أظهر ما تحب أو تكره فإنما يقاس ما أضمر بما لا أظهر
لأنك لا تقدر أن تعرف ما أسر وقال:

ليس المسيء إذا غيب سوء ... عندي بمنزلة المسني المعلن
كم كان يظهر ما أحب فإنه ... عندي بمنزلة الأمير المحسن
والله أعلم بالقلوب وإنما ... لك ما بدا منهم بالأسن
ولقد يقال خلاف ذلك وإنما ... لك ما بدا منهم بالأعين
وقال في الصدود: أما بعد فقد أحضرتني من صدرك ما آيسني من ودك ولم يزل يجري
في لحظك ما يدخلني في رفضك ويدلني على غل صدرك وفي ذلك أقول شعراً:
نظل في قلبه البغضاء كامنة ... فالقلب يكتمها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محدثها ... من كان من حزبا أو من يعاديه
عينك قد دلنا عيني منك على ... أشياء لولاها لم كنت أدريها
أن الأمور التي تخشى عواقبها ... إن السلامة ترك ما فيها

وقال في كثرة المال وقتله: لا تستكثر مال أحد ولا تستقله حتى تعلم ما عياله فإن من
كثر ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر.

وقال في ذكر الأحمق ودخوله فيما لا يعنيه: وأكثرهم دخولاً فيما لا يدخل فيه
وأرضاهم بما لا يكفيه - عدوه أعلم بسر من صديقه وصديقه قد غص منه بريقه

ولا يتق بمن نصحه ولا يتهم من خدعه ولا يأمن إلا من يخونه زلاً يتحفظ إلا من يحفظه ولا يكرم إلا من يهينه أشبه شيء خلقاً باللئيم إن أحسنت إليه لم يشكر وإن أسأت إليه لم يشعر لا ينفعك من وجهه إلا ضرك من وجوده: إن أقبل عليك لم يسرك وإن أدبر عنك لم يضرك إن أفسد شيئاً لم يحسن أن يصلحه وإن أصلح شيئاً أفسده إن أحببته فرأى منك حسناً لم يحسن أن ينشره وهو مع ذلك بخطئه أشد إعجاباً من العاقل بصوابه إن جلس إلى العلماء لم يردد إلا جهلاً وإن جلس مع الحكماء لم يردد إلا طيشاً وإنما جعل نفسه المحدث لهم يكلفهم أن يكونوا المصتين له أعيان الناس إذا تكلم وأبلدهم إذا تعلم واصحهم لمن يشينه وأرفضهم لمن يزينه وأشدهم في موضع اللين وألينهم في موضع الشدة وأجنهم في موضع الشجاعة أن افتقر عجب من الناس كيف يسخون وإن استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون لا يفهم إلا حدثه ولا يفقه إن أفهمته ولا يقبل إن وعظته ولا يذكر إن ذكرت وفي ذلك أقول شعراً:

المراء يصرع ثم يشفى داؤه ... والحمق داء ليس منه شفاء

والحمق طبع لا يجول مركب ... وما أن لأحمق فاعلمن دواء

وقال في ذكر الهوى: إن من الناس من إذا هوى عمي ومنهم من إذا هوى أبصر مرة وأعمى أخرى ومنهم من إذا هوى لم يكذب يخفى عليه شيء وهو اللبيب العاقل الحليم الكامل الذي إن أعجبه أمر نظر إلى هواه وعقله فإن اتفقا اتبعهما وإن اختلفا اتبع عقله وترك هواه وكان أمراً معتدلاً يشبه بعضه بعضاً وقليل ما هم في ذلك أقول شعراً:

أملك هواك إذا دعاك فرتما ... قاد الحليم إلى الهلاك هواه

الله يسعد من يشاء بفضله ... وإذا أراد شقاءه أشقاه

وقال أيضاً في أناس تحسن وجوههم عند حاجاتهم وتغير وجوههم عند غناهم شعراً:

أرى قوما وجههم حسان ... إذا كانت حوائجهم إلينا
 وإن كانت حوائجنا إليهم ... تغير حسن أو جههم علينا
 ومنهم من سيئع ما لديه ... ويغضب حين يمنع ما لدينا
 فإن بك فعلهم شحا وفعلي ... قبيحا مثله فقد استوتونا

وقال فيمن فعل أمراً لا يحسن أن يحتمل له: اعلم أن من قاتل بغير عدة أو خاصم بغير
 حجة أو صارع بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وخصم نفسه وقتل نفسه فإن ابتليت
 بقتال أحد أو خاصمته أو مصارعته فأحسن الإعداد له واعرف مع ذلك عدته وأبصر
 حجته وأحبر قوته كما يحبر قوتك وحجك وعدتك فإن رأيت تقدماً وإلا كان التأخر
 قبل التقدم خيراً من التندم بعد التقدم وفي ذلك أقول شعراً:

إذا ما أردت الأمر فاعرفه كله ... وقبه قياس الثوب قبل التقدم
 لعلك تنجو سالماً من ندامة ... فلا خير من أمر أتى بالتندم

وإن من الناس من يرزق حجة أو عدة أو قوة فتكون عدته هي التي تقتله وقوته التي
 تصرعه وحجته التي تخصصه وذلك أنه ربما أدل فقاتل قبل أن يعلم أمر أعداء الذي
 يقاتله وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه فإذا هو قد قتل أو صرع أو خصم أمام
 الذي يقاتله وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه فإذا هو قد قتل أو صرع أو خصم
 فلم ينفعه جودة عدته ولا قوة حجته حين أتى الأمر من غير جهته وفي ذلك أقول:

إذا ما أتيت من غير وجهه ... تصعب حتى لا ترى منه مرتقاً

فإن الذي يصطاد بالنفخ إن عنا ... على الفخ كان الفخ أعنى وأصيقاً

وقال في الذي يعاقب الناس بغير مودتهم ويوجب حتى نفسه عليهم: لا تدع الناس إلى
 برك وإجلال أمرك وتعظيم قدرك بالمعاقبة ولكن ادعهم إلى ذلك بما تستوجه منهم
 وانظر الأمر الذي أكرم به من هو أبعد منك وقرب به من أنت أقرب منه فالزمه

فإنك إن تلزمه لم تحجج معه إلى معاتبة ولا استيطاء حتى لأنك إن دعوتهم إلى تكريمك
بغير ما تستوجب التكرمة به فإنما دعوتهم إلى أهانتك إما بكلام يجرحك وإما بفعال
تقدحك وإن دعاهم إلى ذلك فضلك أجابوا إما بثناء يرفعك وبجزاء ينفك.

وقال في معرفة الأخوان إنك لن تعرف أخاك حتى المعرفة ولن تخبره حتى المخبرة ولن
تجربه حتى التجربة وإن كنتما بدار واحدة حتى تسافر معه أو تعامله بالدينار والدرهم
أو تقع في شدة أو تحتاج إليه في مهمة فإذا بلوته في هذه الأشياء فرضيته فانظر فإن
كان أكبر منك فاتخذة أباً وإن كان أصغر منك فاتخذ ابناً وإن كان مثلك فاتخذ أخاً
وكن به أوثق منك بنفسك في بعض المواطن وقال: كن من الكرم على حذر إن أهنته
ومن اللئيم إن أكرمته ومن العاقل إن أخرجته ومن الحمق إن مازحته ومن الفاجر إن
عاشرته ولا تدل على من لا يحتمل أدالك ولا تقبل على من لا يجب إقبالك وكن
حذراً كأنك غرو وكن ذاكراً كأنك ناسٍ والترم الصمت إلى أن يلزمك التكلم فمن
أكثر من يندم إذا نطق وأقل من يندم إذا لم ينطق وإذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة
منطقك وقلة زلك وسعة عفوك وقلة حيلك ومنفعة قوتك وحسن تخلصك واعلم
أن بعض القول أغمض من بعض وبعضه أبين من بضع وبعضه أحسن من بعض
وبعضه ألين من بعض ولو كان واحداً فإن الكلمة اللينة لتلين من القلوب ما هو
أحسن من الحديد وإن الكلمة الحسنة لتحسن من القلوب ما هو ألين من الحرير وإن
عظم الناس بلاء وأدومهم عناء وأطولهم شقاء من ابتلى بلسان مطلق وفؤاد مطبق
فهو لا يحسن أن ينطق ولا يقدر أن يكتب واعلم أن ليس يحسن أن يجيب من لا
يسألك ولا تسأل من لا يجيبك وفي ذلك أقول شعراً:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه إن يكدر

ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وقال في الرفق في الدواب: إن رفق الرجال بدوابه وحس تعاملدها وقيامه عليها عمل من أعمال البر وسبب من أسباب الغنى ووجه من وجوه المروءة وقال التدبير مع المال القليل وخير من المال الكثير مع سوء التدبير وإنما المنفقون ثلاثة جواد ميسر وكريم مقدر ولتيم مقتر وفي ذلك أقول شعراً:

رب ما سيعم الناس فيه ... وهو عن ربه قليل الغناء
 كان يسقي به وينصب حيناً ... ثم أمسى لمعشر غرباء
 ماله عندهم جزاء إذا ما ... أنعموا فيه غير سوء الثناء
 رب ما يكون غماً وذماً ... وغني بعد في الفقراء

وقال في تصنيف الطعام إذا كنت ممن يؤكل طعامه وتحضر مائدته ويؤكل معه فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من ألب الناس في عمله وأنظفهم في يديه ولا تدع أعلامه إن أحسن ولا إنذاره إن أساء فإن تعبتك عليه خير من تعبت الناس عليك واعلم أن لكل شيء غاية وإن غاية الاستنقاء التنظيف في الاستنجاء والإكثار من الماء حتى يستوي اليدان والريح والمنظر فإنه لا طيب أطيب من الماء ولو أنه المسك وما أشبهه من الأشياء وإنما يستدل على نظافة الرجل بنقاء أثوابه وإنما يكون القدر في الحمقى من الرجال والنساء ويستدل على بلادتهم وفي ذلك أقول شعراً:

ولا خير قبل الماء في الطيب كله ... وما الطيب إلا الماء قبل التطيب

وما أنظف الأحرار في كل مطعم ... وما أنظف الأحرار في كل مشرب

وقال في صفة العدو والصديق: احرص أن لا يراك صديقك إلا أنظف ما تكون ولا يراك عدوك إلا أحسن ما تكون فأما الصديق فإن كان الذي أعجبه منك خلقك أو خلقك ولهما كان بحبك فكلما ازدادت حسناً كان حبه لك أكثر ورغبته فيك أوفر (وأكثره عندك وأكبر لك في صدره) وأدوم له على عهدك وأما العدو فليس شيء

أعجب إليه من دمامتك وخماستك فاحترس منه وأظهر الجميل فليس شيء أعجب إليه من التمكن منك فانظر أن لا يكون شيء أعجب إليك من التحصن منه.

وقال في العقل والأدب: اعلم أن العقل أمير والأدب وزير فإن لم يكن وزير ضعيف الأمير وإن لم يكن أمير بطل الوزير وإنما مثل العقل والأدب كمثل الصيقل والسيف فإن الصيقل إذا أعطي السيف أخذه فصقله فعاد جمالاً ومالاً وعضداً يعتمد عليه ويلتجأ إليه فالصيقل الأدب والسيف العقل فإذا وجد الأدب عقلاً نفقه ووقفه وقواد وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف وإذا لم يجد عقلاً لم يعمل شيئاً لأنه لا يصلح إلا ما وجد وإن من السيوف لما يصقل يستفي ويخدم ثم يباع بأدنى الثمن ومنها ما يباع برنته دراً ويزرجد وذلك على نحو الحديد وجودته أو رداءته وكذلك الرجال منأديان بأدب واحد ثم يكون أحدهما أنفذ من الآخر أضعافاً مضاعفة وإنما ذلك على قدر العقل وقوته في الأصل وفي ذلك قلت شعراً:

وقد يصلح التأديب من كان عاقلاً ... وإن لم يكن عقل فلن ينفع الأدب

وقال في المرء: إذا اجتمع أهل نوع فتذاكروا على نوعهم ذلك لم يكن أصل كل واحد منهم أن ينفع بما أسمع وينتفع بما سمع فاعلم أن تذاكرهم ذلك من أول المرء يصدع العلم ويوهن الود ويورث الجمود وينشئ الشحناء وينغل القلب وفي ذلك أقول شعراً:

تجنب صديق السوء وأصرم حباله ... فإن لم تجد عنه محيصاً فداره

وأحب صديق الخير واحذر مرءاه ... تنل منه صفو الود ما لم تماره

وقال في الحكمة: أما ما يسمع من كثير من الحكمة فإنه أوله شيء يخطر على الأفئدة إذا خطر وهو أصغر من الخردلة وأدق من الشعرة وأوهن من البعوضة ثم تحركه اللسنة وتبذه الأفئدة كما يحاك الرد وكما يمد النهر فيعود أكثر من الكثير وأوشق

من الحديد وأثنى من الجوهر وأحسن من الذهب وأنفع من كليهما لأنه يزيد في المنطق وذكي الذهن ويعين على الإبلاغ ويتجمل به القائل ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه ما يشاء فينتفع به اللطيف ويقبل به السخيف ويتزيد به الكثيف ويتأيد به الضعيف ويزداد به الأيدي قوة من منطقه وبلاغة في كتبهم وللكرماء في بشاشتهم وللشعراء في قصائدهم فإذا كنت ممن يؤلف حكمة أو يضع رسالة أو يذكر في مهنة فلا تكمه قلبك ولا تكره ذهنك فإنه إذا أكره كل ووقف ولكن إن كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له والتأخر عنه على التقدم فيه فإن الذهن يحجم كما يحجم الشر ويصفو كما يصفو الماء.

وقال في الكلام وإخراجه: اعلم أن مثل الكلام كمثل الحجارة فمنها هو أعز من الذهب والفضة ومنها ما لا يعطى في الصخرة العظيمة منه درهم وفي ذلك أقول شعراً:

وما الحجر الكبير أعز فيما ... ظفرت به من الحجر الصغير

وكم أبصرت من حجر خفيف ... صغير بيع بالثمن الكبير

وقال في طلاقة الوجه وحسن الخلق: كن أسهل ما تكون وجهاً وأظهير ما تكون بشراً وأقصر ما تكون أمداً وأحسن ما تكون خلقاً وألين ما تكون كنفاً وأوسع ما تكون أخلاقاً فإن الأيام والأشياء عقب ودول فإن أنكرت منها شيئاً يوماً ما كان (ما) أنكرت منها شيئاً خفيفاً على أهل الشمانة وأهل الصفاء واحذر أن تحزن من يحبك وتفرح من يحمدك فلم أر في مصاب الدهر مصيبة أوحش من تغير النعمة وإن أنت لم تكر منها شيئاً ودامت لك بما تريد فما من الدنيا شيء تناله بدعة ولا رفق إلا وهو أنها مما نبيل بعيب ونصب فأما من كفي وعوفي فما يصنع بالغضب والتضايق وأخما هما العمر ونكد الدهر وفي ذلك أقول شعراً:

ما تم شيء من الدنيا علمت به ... إلا استحق عليه النقص والغير
 ولا تغير من قوم نعيمهم ... إلا نكدر منه الورد والصدر
 فعاد غمماً ولن تلقى أمراً أبداً ... (أغم) من ملك أيام يفتقر
 وقال في الكذب:

كذبت ومن بكذب فإن جراه ... إذا ما أتى بالصدق أن لا يصدقا
 وقال فيه أيضاً:

إذا ما رأيت المرء حلوا لسانه ... كذوباً فأيقن أن لا حيا له
 ولا خير في الإنسان إن لم يكن له ... حياء ولا في كل من لا وفا له
 وقال في الأخوان:

ليس من كان في الرخاء صديقاً ... وعدو الصديق بعد الرخاء
 عدو في إخوانه لصديق ... إنما ذاك عدو الأعداء
 لو صدقنا بذي إخوان أمين ... لا شربنا إخوانه بالغلاء
 لو وجدنا أحماً متيناً أميناً ... لا تحذنا أخاه للشفاء

أما الرفقاء في السفر والجلساء في الحضر والخلطاء في النعم والشركاء في العدم
 فاحفظ مصاحبهم وواظب على إخوانهم وفي ذلك أقول شعراً:

وكنت إذا صحبت رجال قوم ... صحبتهم وشييتي الرفاء
 فأحسن حين يحسن محسنوهم ... واجتنب الإساءة إن أساؤوا
 وأبصر ما يعيهم بعين ... عليها من عيوبهم غطاء
 أريد رضاهم أبداً وآتي ... مشيتهم واترك ما أشاء

لا تبتدن أحداً بصغير مما يكره ولا بكبيره ولا بقليل مما يسخط ولا بكثيره فإن
 ابتداك أحد بشيء من ذلك فقدرت على الانتصار منه فعفوت أو انتصرت فما

أحسن جميع ذلك إلا أن العفو أكبر والانتصار أعز وكلاهما حظ وفي ذلك أقول شعراً:

(فمآذات باب بحمدته فيما علمت عليه من طريق الصواب . . كم)

وأي الناس الأم من سفيه ... بقول لا يخاف من الجواب

وقال في الجهل: إياك والجهل فإنما تجهل على ثلاثة رجل أنت أعز منه ورجل هو أعز منك ورجل أنت وهو في العز سواء فأما جهلك على ما أنت أعز منه فلزم وأما جهلك على ما هو أعز منك فحيف وأما جهلك على من هو مثلك فهراش مثل هراش الكلبين ولن يفترقا إلا مفصوحين أو مجروحين وليس هذا من فعال الحكماء والعلماء الحليم أوزن والجهول أنقص وفي ذلك أقول شعراً:

ما تم علم ولا حلم بلا أدب ... ولا تجامل في قوم حليمان

ولا التجامل إلا ثوب ذي ديس ... وليس يلبسه إلا سفيهان

وقال في رؤية الرجل وخبره إن من الناس من يعجبك حين تراه وتزداد عند الخبره إعجاباً (به) ومنهم من بغضه حين تراه وعند الخبر تكون له أكثر بغضاً ومنهم من يعجبك مخبره ولا يعجبك منظره ومنهم من يعجبك منظره ولا يعجبك مخبره وفي ذلك أقول شعراً:

ترى بين الرجال العين فضلاً ... وفيما أضروا بالعين العين

ولو الماء متبه وليست ... تخبر عن مذاقته العين

فلا تعجل بنطق قبل خبر ... فعند الخبر تنصرم الظنون

وقال أيضاً في ذلك:

وما صور الرجال بما امتحان ... وما فيها لمعتبر بيان

ولكن فعلهم يبيك عنهم ... به تحب الكرامة والموان

وما الإنسان لولا أصغراه ... سوى صور يصورها البنان

وقال أيضاً:

لم أزل ابغض كل امرئ ... وجهه أحسن من خبره

فهو كالغصن يرى ناضراً ... ناعماً يعجب من زهره

ثم يبدو بعده ثم ... فيكون السم في ثمره

وقال في النهي عن القبيح: وإذا رأيت من أحد أمراً فنهته عنه قلم يحمذك ولم يذمم
في نفسه على مكانة أو يحدث حدثاً تعلم أنه قد انتفع بمقالتك فإن ذلك عيب آخر قد
بدا لك منه لعله أقبح من الذي نهته عنه وفي ذلك أقول شعراً:

ولا نيت غويًا من غوايته ... إلا استزاد كاني كنت أغريه

ولا نصحت له إلا تين لي ... منه الجفاء كاني كنت أغويه

وقال في المؤاخاة: لا تؤاخ أحداً إلا على اختيار منك له وارتضاء منك به واتفاق منه
لك فإذا اتفق أمركما كذلك فاعلم أن كلاكما يحسن ويسيء ويصيب ويخطئ ويحفظ
ويضيع فوطن نفسك على الشكر إذا حفظ وعلى الصبر إذا ضاع وعلى المكافأة إذا
أحسن وعلى الاحتمال والمعاتبة إذا أساء فإن معاتبة الصديق إذا أساء أحب إلى الحلیم
من القطيعة في معاشرة من تؤاخيه وفي ذلك أقول شعراً:

وإذا عنت على امرئ أحبته ... فتوق ضفر عتبه وسبابه

والن جناحك ما استلان لوده ... واجب أخاك إذا دعا لجوابه

واحرص من أن تعرف موقعك من كل أحد حتى من أهلك وأملك فمن السخافة أن
تكون لأخيك فيما يحب ويكون فيك فيما تكره وما أقبح أن تكون له فيما يكره
ويكون لك فيما تحب واعلم أن من تفعلك صداقته ولا تضرك عداوته الكريم الذي

إن أحسنت إليه كافأك وإن أسأت إليه عاقبك وأما من تضرك عداوته ولا تفعلك
صحبته فهو الجاهل السفیه اللثیم وفي ذلك أقول شعراً:

من الناس أن یرض لا تتففع به ... ولكن متى یسخط فما شئت من ضرر
ضعیف علی الأعداء لكن قلبه ... اشد إذا لاقى الصدیق من الحجر

وقال في قلب الدنيا شعراً:

إنما الدنيا سراج ... ضوءه ضوء معار

بینما غصنك غصن ... ناعم فيه اخضرار

إذ رماه الدهر يوماً ... فإذا فيه اصفرار

وكذاك الليل يأتي ... ثم يحوره النهار

وقال في المداراة: إذا هبطت بلداً أهلها على غير ما تعرف وأنت على غير ما يعرفون
فألزم كثيراً من المداراة فما أكثر من داری ولم یسلم فكيف لم یكن منه مداراة وفي
ذلك أقول شعراً:

يا ذا الذي أصبح لا والداً ... له على الأرض ولا والدد

قد مات من قبلهما آدم ... فأی نفس بعده خالده

إن جنت أرضاً أهلها كلهم ... عور فغمض عينك الواحدة

وقال لا تقاتلن أحداً تجد من قتاله بدأ فإنا الحق لمن غلب ولا غالب إلا الله وإن آخر
الدواء الكي فلا تجعله أولاً وفي ذلك أقول شعراً:

وكم رأينا من أخي غبطة ... أصبح مسروراً وأمسى حزينا

وكم رأينا فتى يركب طاحونة ... للحرب قد أصبح فيها طحينا

وقال في الإعصار والإيسار:

كم من صديق لنا أيام دولتنا ... وكان يمدحنا قد صار يهجونا

إني لأعجب من كان يصحنا ... ما كان أكثرهم إلا يراؤنا

لم ندر حتى انقضت عنا إمارتنا ... من كان ينصحنا أو كان يغيونا

من كان يصفنا ما كان يصحنا ... إلا ليخدعنا عما بأيدينا

وقال في الصلة والتفضل: لا يكن من وصلك أحق بصلتك منك ووصلته ولا من غير تفضل عليك أولى بالتفضل منك عليه فإنما أتت وهو كرجلين ابتدرا كرومة فقصر أحدهما وبلغ الآخر فإنما القاصر قصر عن حظ نفسه وأما البالغ فبلغ بحميل أمره وعظيم قدره.

وقال في القدر: إذا كان الرجل لبياً فاعلم أنه كامل ولكن لن يقدمه ذلك إلى ما كان يطالب ولن يؤخره عما كان يحاذر إلا بقدر يلحق به ما طلب ويسبق به ما يحذر وإن من الناس من يؤتى منطقاً وعقلاً ولا يؤتى مالاً ومنهم من يؤتى مالاً ولا يؤتى غيره فيحتاج مع ماله إلى عقل ذي العقل ومنطقه ويحتاج ذو العقل إلى مال ذي المال ورفده وينهض هذا بهذا وهذا بهذا (فليس لأحدهما إذاً غنى عن الآخر) فأحوج الملك إلى السوق وأحوجت السوق إلى الملك.

وقال في التفاضل: لا تقل فلان أغنى مني وأنا أحزم منه فإنه لو جمع العقل والشدة والشجاعة والمال وأشباه ذلك القوم وبقي قوم لا شيء لهم فملكوا ولكن الله عز وجل قال لهم يقسمون رحمة بك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعضهم درجات فأوتي بعضهم عقلاً وبعضهم قوة وبعضهم مالاً مع أشياء مما يكون فيه صلاحهم وبه معيشتهم ثم أحوج بعضهم إلى بعض فعاشوا وإنما مثل الرجل ورزقه ومثل أدبه وعقله ومروءته وحكمه كمثل الرامي ورميته فلا بد للرامي من سهم ولا بد لسهمه من قوس ولا بد لقوسه من وتر ولا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ به ما رشق ويصيب به ما يبلغ ويحوز ما أصاب وإلا فلا شيء فالرامي الرجل والرمية

الرزق ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ولا شيء من ذلك إلا بقدر وفي ذلك أقول شعراً:

ما القوس إلا عصا في كف صاحبها ... يرعى بها الضان أو يرعى بها البقر

أو عود بان وإن كانت معقفة ... حتى يضم إليها الشهم والوتر

وإن جمعت لها هذين فهي عصا ... حتى يساعد من يرمي بها القدر

وقال: إن حسن السميت وطول الصمت ومشي القصد من أخلاق الأتقياء وإن سوء السميت وترك الصمت ومشي الخيلاء من أخلاق الأثقياء فإذا مشيت فوق الأرض فاذا كنت من تحتها وكيف كانوا فوقها وكيف حلوا بطنها وكيف كانوا أما واعلم أن ابن آدم أعز من الأسد وأشد من العمد ما لم تصبه أدنى شوكة وأدنى مرض وأدنى مصيبة فإذا أصابه شيء من ذلك وجدته أهون من الذرة وأمين من البعوضة فلا يغرك تجرده وتكبره ونفر عنه واستطالته وفي ذلك أقول شعراً:

ولا تمس فوق الأرض إلا تواضعاً ... فكم من تحتها قوم هم منك أرفع

فإن كنت في عز وحرز ومعة ... فكم طاح من قوم هم منك أضع

وقال في الغنى والتمتع: إن الغنى في القلب فمن غيت نفسه وقلبه غيت يداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه وفي ذلك أقول شعراً:

إذا المرء لم يقنع بشيء فإنه ... وإن كان ذا مال من الفقر موثر

إذا كان فضل الله يغنيك عنهم ... فانت بفضل الله أغني وأيسر

وقال في الرأي والمشاورة: إذا استشير نفر أنت أحدهم فكن آخر من يشير فإنه أسلم لك من الصلف وابتعد لك من الخطأ وأمكن لك من الفكر وأقرب لك من الحزم وفي ذلك أقول شعراً:

ومن الرجل إذا زكت أحلامهم ... من يستشار إذا استشر فيطرق

حتى يحول بكل واحد قلبه ... فيرى ويعرف ما يقول فينطق

فبذاك يطلق كل أمر موثق ... وبذاك يوثق كل أمر يطلق

إن الحليم إذا تفكر لم يكذب ... يخفى عليه من الأمور إلا وفق

وقال في النهي عن مجالسة أهل الأهواء والبدع ومحادثتهم: أما هذه الأهواء فإنني لم أر أحداً ازداد فيها بصيرة إلا ازداد فيها عمى لأن أمر الله أعز من أن تلحقه العقول ولم أر اثنين تكلمتا فيها إلا رأيت لكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبه على دفعها إلا بالشبهة والمغالطة وأما بالنصيحة فلا ومن غالط في هذا أو مثله فإنما يغالط نفسه وعليها يخلط وإياها يمدح أو أراد أن يخادع ربه والله أعز من أن يخدع لقد نبئت أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لا تجادل أهل الأهواء فيوقعوا في قلبك شيئاً يوردك به إلى النار فهذا أمر نهى عنه موسى عليه السلام وقد أعطى التوراة فيها هدى الله وكلم الله موسى تكليماً فكيف بغيره من الأهل الأهواء ولم يزل الصالحون يتناهون عن الهوى والمراء فيه والجدل به وهم آرقيا ساقط ثم ولا كلاماً صح إلا وفيه كلام بعد كثير فالسنة إن لا يتكلم في شيء من الأهواء بالهوى وبغير الإتيان للكتب المتزلة والسنة للرسول الصادقة وفي ذلك أقول شعراً:

إذا أعطي الإنسان شيئاً من الجدل ... فلم يعظه إلا لكي يمنع العمل

وما هذه الأهواء إلا مصائب ... يخص بها أهل العمى والعلل

وقال في السيمة: إياك والسيمة فإنما لا تترك مودة إلا أفسدتها ولا عداوة إلا جددتها ولا جماعة إلا بددتها ولا ضغينة إلا أوقدتها ثم لا بد من عرف بما أو نسب إليها أن يتحفظ من مجالسته ولا يؤتى بناحيته وأن يزهد في مناقشته وأن يرغب عن مواصلته وفي ذلك أقول شعراً:

تشتيت فينا بالنميم وإنما ... يفرق بين الأصفياء النمامم

فلا زلت منسوباً إلى كل آفة ... ولا زال منسوباً إليك اللواتم

وفي مثله قوله:

كالسيل في الليل لا يدري به أحد ... من أين جاء ولا من أين يأتيه

فالويل للعبد منه كيف ينقصه ... والويل للود منه كيف يبليه

وقال: إذا قيل لك شيء أطول فقل الكلام وإذا قيل لك أي شيء أقصر فقل الكلام لأن الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لألف كلمة وقد يكون جوابها ألف كلمة وأكثر ولن تدرك الكلام حتى تذرده ولن تذرده حتى تحذرده وفي القول خطأ كثير وبعضه صواب وإن الصمت منه لأصوب فاترك منه ما لا تنتفع بأخذه وخذ منه ما لا تقدر على تركه واسجن لسانك كما تسجن عدوك واحذرده كما تحذر غانثه.

وقال في تأديب النفس: إذا أبصرت بعض ما تكره من غيرك فأسرع الرجعة منه قبل أن يبصر منك ما يستر به واحمد الله الذي أحسن إليك وبصرك عيوب نفسك ونهيك الرجوع عن غيرك وإذا أخبرك بعيك صديق قبل أن يخبرك به عدو فأحسن شكره واعرف حقه فإن خبر العدو تعيب وخبر الصديق تأديب وفي ذلك أقول شعراً:

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى ... من الأمر ما لم يرصه نصحاؤه

وقال في الحاسدين: اعلم أنك لن تلقى من الخير درجة ولن تبلغ منه رتبة ولن تنزل منه منزلاً إلا وجدت فيه من يحمدك وإنما الحاسد خصم فلا تجعله حكماً فإنه إن حكمك لن يحكمك إلا عليك وإن قصدك لم يقصد إلا إليك وإن دفعك لم يدفع إلا حقك وفي ذلك أقول شعراً:

ولو كنت مثل القدح ألفت قائلاً ... إلا ما لهذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النصل ألفت قائلاً ... إلا ما لهذا النصل ليس بصارم

تم أدب صالح بن جنان بفضل منشى الروح ومجري الرياح والملك الوهاب الفتح
وذلك في سلخ شهر ذي القعدة سنة ١٠٨٦ والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تنبيه

لم نقف على ترجمة صاحب هذا الكتاب فيما بين أيدينا من الكتب وإنما رأينا له ذكراً
في كتاب العلم للحافظ بن عبد البر. حيث قال أحسن ما قيل في الصمت ما ينسب
لعبد الله بن طاهر وهو:

أقلل كلامك واستعد من شره ... إن البلاء ببعضه مقرون

واحفظ لسانك واحفظ من عيه ... حتى يكون كأنه مسجون

وكل فزادك باللسان وقل له ... إن الكلام عليكما موزون

فرناذ وليك محكماً في قلة ... إن البلاغة في القليل تكون

وقد قيل أن هذا الشعر لصالح بن جنان والله أعلم وهو أشبه بمذهب صالح وطبعه
اهـ.

الحكومات وشرائعها

عرف الإنسان منذ نشأته أن الاتحاد ذريعة لنيل سعادته ووسيلة للحصول على مراده
فقال بالقسر إلى الاجتماع فكاتفأ على ما يتعلق بأمر معيشته من هجوع وترحال
ومأكل ومشرب ودعاه إلى ذلك داعي العجز والتقصير للقيام بمقتضيات حياة المدنية
كالزراعة والصناعة على اختلاف أصنافها والعلم على تعداد أنواعه فكان اجتماعه
قسرياً ضرورياً لراحته ورفاهته عبرت عنه الحكماء بقولها الإنسان مدني بالطبع أي لا
بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم.

ولما كان الإنسان ميلاً بالطبع إلى الظلم والعدوان كان من الضروري لاجتماعه وجوب وجود وازع يدفع بعض الناس عن بعض ويهتّم بإصلاح شؤونهم وأحوالهم ومعيتهم وإلا تضعفت دعائم العمران ووهت أسبابه وقواعده لأنه ليس من الممكن عقلياً اجتماع أفراد بدون اتفاق فيما بينهم على كيفية نيل المعاش واقتسام الرزق ولا يمكن ذلك الاتفاق إلا بوجود وازع عادل يحدد حقوق كل فرد وواجباته طبقاً لقواعد أدبية واجتماعية تعرف الآن بالشرعية وهي لئن الآن اختلفت مبدأ باختلاف العادة والمكان لا تختلف غاية وهي المحافظة على حقوق الإنسان لقيام اجتمع البشري كما يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: ولكي يتم للإنسان الاجتماع لا بد له من سنن يكفله ولا بد من العدل في هذه السنن أي مراعاة مصالح الجمهور المتبادلة ولا بد من احترامها كذلك وإلا انقضت عروة الاجتماع وتداعت دعائمه: ولكن لما كان الإنسان كثيراً ما لا يسلك م نفسه الطرق المثلى المؤدية إلى ذلك إما عن عتوا أو غرور أو عن جهل وذهول كان لا بد له من إقامة قوة يناط بها المحافظة على المقرر من السنن والاقتصاص ممن يجحد عن جادتها وإلا آل به الحال إلى الفوضى أي لا بد له من وازع يكون من إذا لم يمكن أن يكون سواه يدفع عدوان بعضه عن بعض ويهتّم بإصلاح شؤونهم اهـ.

فهيكدا نشأت الشرائع والحكومات ولم تكن الأولى بداءة بدء سوى مجموعة عوائد وآداب بعضها ما فرضته الأديان وأخرى ما قضت الأحوال بإتباعه عفواً فأخذت ترتقي بعدئذ بالانقضاء الإنسان إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن كما أنه لا ينكر تغيير الأحكام بتغير الأزمان.

فما الشرعية سوى خطة تسري الحكومة بموجبها لتحدد حقوق الجميع وهي مسئولة بالطبع لدى هذا النظام عما تفعله بالنظر إلى رعاياها كما أن أرباب العائلات

مستولون أمام نظامهم عما يفعلون بالنظر إلى عائلاتهم لا بل تبعت الحكومة أعم من
مواجب أرباب العائلات لأن رب العائلة تطالبه أسرته وهو مسؤولة لها ولنمته في
حين تكالب الرعية الحكومة والرعية مجموع أسر عديدة فتكون مسؤولة لها وللوطن
كما قال أرسطو: العالم بستان سياحه الدولة والدولة سلطان تحيا به السنة والسنة
سياسة يسوسها الملك والملك نظام يعضده الجنود والجند أعوان يكفلهم المال والمال
رزق تجمععه الرعية والرعية عبيد يكفهم العدل والعدل مألوف وبه قوام العالم.

فنتج إذن لما تقدم أن نشوء الشرائع والحكومات كان قديماً بقدم أول اجتماع نظراً
لما في طبيعة الإنسان الحيوانية من الأثرة والعدوان التي تحول دون اجتماعه وتآلفه لولا
حاكم عادل يحد لكل حقوقه حسب الشرائع المفروضة فتاريخ الشرائع مرتبط بتاريخ
الحكومات وتاريخ الاجتماع البشري كل ارتباط أي لم يكن الاجتماع دون
الحكومات لتحفظ كيانه وتذب عن حماه وتدفع عن حوزته ولم تكن الحكومات دون
الشرائع لتسير بموجبها فتحدد بالقسط والسوية حدود الجميع لم تكن الشريعة بدون
حكمة تسنها ولم تكن الحكومة بدون جمعية تحكمها كما قال الموبدان بن مكرم في
حكاية البرم التي نقلها المسعودي الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة ولا قوام بالشريعة إلا
بالمالك ولا عز للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال ولا سبل للمال إلا
بالعمارة ولا سبل للعمارة إلا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الحلقة نصبه الله
وبه قوام العالم. اهـ.

فلنا الشريعة لم تكن بادئ بدء سوى مجموعة آداب وعوائد قضت الأحوال بإتباعها
عفواً ثم أخذت ترتقي بارتقاء الإنسان إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن من الرقي
والفلاح فهي إذاً مرآة صافية يعكس عليها مركز الأمة في الجسم الاجتماعي كما
يعكس عليها أيضاً من عوائدها وأخلاقها ما يظهر لنا تأخرها أو تقدمها. فمن اطلع

على شرائع الفرس واليونان قديماً وأهل سومطرة مثلاً في القرن الماضي ووقف على ما جوزته شرائعهم من سلخ جلد انجريم بالقتل وسحقه بين صخرتين أو طرد حياً في الرماد حتى يموت تحته خنقاً إلى غير ذلك من الفظائع الحيوانية كان يلقوا انجريم إلى السباع أو يمزقوا جسده بالكاليب أو يحرقوه حياً أو يشدوا أطرافه إلى أربع أفراس فيمزق انجريم بالقتل إرباً إرباً عرف حتى المعرفة فظاظة طبائعهم وقسوة قلوبهم وغلظة أكبادهم وحكم حكماً باتاً على تلك الأمم بسكرة الجهل وتسكعها في مهامه الحمول لأن قساوتها وانحطاط أخلاقها وعواندما كانت تتجلى في شرائعها بأجلى بيان على بقائها تحت وفر الجهل ووراء ظل الارتقاء.

وإذا رجعنا فوقنا على كثير من شرائع أمم أوروبا المتعددة الآن كإنكلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها من أمم العالم المتمدن كأميركا وخصوصاً شرائع مملكتنا العثمانية نحكم بالطبع على وجوب رقي تلك الأمم لما ينجلي منعكساً على مرآة شرائعهم الصافية من حسن العوائد وطيب الأخلاق ما يضطرنا أن نقول بارتقاء تلك الأمم طبقاً لارتقاء شرائعها.

ولكن لماذا لا يصدق هذا الحكم على أمنا العثمانية وشريعتها من أحسن الشرائع ونظامها من أقوم المنظمات؟ لماذا لا يصدق علينا هذا الحكم بل لماذا نحن في تأخر؟ إلا أننا من جنسية غير جنسيتهم ونحن ذرية الذين اشتهروا بالصناعة والتجارة والحماسة والشجاعة والفتوحات والفصاحة والمعارف والحكمة؟ أم لأنهم أقرب منا استعداداً للارتقاء ونحن من القوم الذين أفاض الله عليهم من بركات الحجي ما أقام لهم الاندماج في سلك الرتبة الأولى بين مراتب بني آدم؟ كلا ليست هذه من الأسباب التي أودت بأمنا بعد أن كان لها من بسطة الملك واستفحال الكلمة ونفوذ الشوكة ما لم تصل إليه أمة من أمم أوروبا الراقية. ولكن هو ضعف الإدارة في الأعمال وعدم

تنفيذنا الأوامر الشرعية والقوانين المفروضة وقلة رجالنا الأمناء المحلصين كانت من جملة أمراضنا الاجتماعية فقلدنا كما قيل كباثر الأعمال لصغائر العمال أي وضعنا الشيء في غير موضعه فأصبح الرائي ظالماً والقاضي محايياً والجندي خائناً وأمر الشريعة لغوً لا يعمل به ولا ينفذ فلا بدع إذا فسدت الأمة بفساد الحكومة التي هي بمنزلة الرأس منها وقد أجاد القائل:

وإذا رأيت الرأس وهو مهشم ... أيقنت منه فشم الأعضاء

وهكذا يستتج بأن سلامة الوجود موقوف على سلامة النظام وسلام الناظم يكفله حسن العمل وذلك مترتب بالطبع على إدارة مستقيمة حسنة تصدر عن رجال محلصين أمناء لأن إدارة ميزان كل حكومة وقوام كل مملكة كما أن الرجال سياج الأمة يذوبون عن حوضها ويدروون طوارثها فيذهبون بها من غمرات الخلل إلى سواحل النظام والسعة كما قال أبو شروان الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل بإصلاح العمال واستقامتهم وتنفيذهم أوامر الشريعة المفروضة من الله.

فإذا كانت شريعتنا من أقوم الشرائع ونظامنا من أحسن النظمات وحكومتنا لا تعمل به فهو لغو ومعتبر حين تسيير بموجبه الأحكام فتحدد بالسوية حقوق الكل وواجباتهم. التعليم إجباري بملكنا المحروسة ولكن من يرد عليه هذا الأمر ولا يسقط في يد ومن يعمل به من الحكومة؟ توسيع الطرق وتطهير الشوارع وتسهيل أسباب النقل ومراقبة أسعار ضروريات الإنسان من واجبات المجلس البلدي في كل ولاية مثلاً ولكن هل تسيير أعضاؤه على خطة وواجباتهم فتحافظ على راحة الشعب ورفاهته وتوسع الطرق وتطهر الشوارع حتى قال بما أحدهم مرة إن أهالي دمشق تود لو تزرع الشجار في شوارعها لتكثر الأمطار فتتخلص من الغبار الذي لا يمكنه غير مياه السماء. شريعتنا

تحرم الرشوة بالطبع فتقول ما حرم أخذه حرم إعطاؤه ولكن العاملين بما قلبوا الآية فحللوا الأخذ والعطاء. التصرف على الرعية - كما ورد في القانون - منوط بالصلحة فيلزم أن يولى المناصب أهلها ولا يكلف الناس ما لا يحتمل ويدفع الظالم عن المظلوم ويؤمن السبل ويدفع الأذى ولكننا نحن نقلد الوظائف لمن لا يصلح لها فنضع الشيء بغير موضعه ونساعد الظالم على المظلوم وإن كنا ندرى بأن ذلك مبدأ الحلل. وخالصة القول أن شريعتنا من أحسن الشرائع وأقومها ولر نعمل بموجبها ولكن فساداً طرأ على أفكار العاملين بها فغيروا المعاني وضحفوا الألفاظ وحرفوها طبقاً لمآزهم ومقاصدهم. الكلية بيروت:

حبيب جرجي كحالة

النحام ومرادفاته

1 تهيد

أصعب ما في اللغة العربية تحقيق الألفاظ العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بعلم المواليذ فترى أغلب المعاجم تحبب هذا البحث ولا خبط عشواء. ولهذا يحسن بالعلماء أن يحققوا تلك الألفاظ ويتبعوها تبعاً علمياً محضاً حتى يصرح اللبني عن الرغبة ويعول عليها الكتاب من مؤلفين ومعربين ولا يقوا ساترين في الوعث فيكابدون من العناية والاجهد الأمرين. ومن جملة الألفاظ التي تحتاج إلى تحقيق كلمة نحام من الطير وما نحن نثبت ما يزيل الشك في هذا الباب فنقول.

2 النحام في كتب العربية

قال في حياة الحيوان: النحام طائر على حلقة الإوز الواحدة نحامة. يكون آحاداً وأزواجاً في الطيران وإذا أرادت الميت اجتمعت رفوفاً، فذكوره تنام وإناته لا تنام وتعد لها مبيت فإذا نفرت من واحد ذهبت إلى الآخر. اهـ المقصود من إيراده -

وقال داود الإنطاكي: النحام: طير دون الإوز، قيل أنه شديد الحرارة ينفع البرودين وهو مجهول - وقال ابن البيطار: النحام هو من طيور الماء. ابن ماسويه: لحمه من أكرام لحوم الطير وأفضلها. . . وفي التاج: النحام، كغراب: طائر أحمر كالإوز أي على خلقته. قال الجوهري يقال له بالفارسية سرخ آوي وهكذا ضبطه الزهري وابن خالوية. وغلط الجوهري في فتحه وشدده وضبطه المهلي كضبطه الجوهري. اهـ - قلنا: الاسم الفارسي الحقيقي هو سرخ آب أو سرخاب ويلفظها بعضهم سرخ آوي على لغة قلب الباء واوا وهي لغة كثيرين من الفرس الأقدمين واخذئين ومن أسمائه بالفارسية أيضاً خرجال كما جاء في برهان قاطع - وعلى ذلك يكون النحام هو المسمى بالفرنسوية أو وبالإنكليزية وبلسان العلماء أو اللاتينية

3 سبب تسميته عند العرب

لم يتعرض اللغويون لسبب تسمية هذا الطائر بهذا الاسم. وعندنا أنه مشتق من النحم أو النحيم وهو صوت كالزحير أو فوقه، يخرج من هذا الطائر عند الطيران. وفعال بالضم من الصيغ الدالة على الفاعلية وإن لم ينبه عليها النجاة كشجاع وخشاش (وهو الماضي من الرجاء) وقد يراد على هذه الصيغة الياء للمبالغة ويقى المعنى على ما هو كقولهم:

القطامي وهو الصقر. قال الأصمعي: القطامي مأخوذ من القطم وهو الشهبان للحم غيره. وهذا الكلام يدل على أن اللغويين انبهوا إلى صيغة فعال أو فعالي للفاعلية.

4 تصحيف النحام ومرادفاته

صحف كثير من الكتاب هذه الكلمة لجهلهم إياها. ومن أشهر من صحفها أحمد فارس الشدياق الشهر فقد قال في كتابه شرح طبائع الحيوان ص ٢٨٢: النحاف (بفاء في الآخر) هذا طائر طويل ضخيم وفي غاية الحسن إلى آخر ما نقله عن الإفرنج.

وقد جاءت بهذه الصورة القبيحة في عدة مؤلفات نقل عنها دوزي في كتابه الملحق بالمعجم العربية في مادة نحف.

ومن أخطأ في أسماءه الأب بلو اليسوعي في معجمه الفرنسي العربي المطبوع سنة ١٩٠٠ قال في تعريف غواص، طائر طويل الأرجل لونه أحمر زاه، نحام اهـ. فالغواص غير النحام على ما أثبتته العرب والعلماء الأقدمون واتخذون.

ونحن العراقيين نسميه في ديارنا الغرنوق وهو كثير الوجود في البطائح والآجام والمستنقعات وفي القاموس: الغرنوق كزنبور وفردوس: طائر مائي أسود وقيل أبيض أو الغرنوق أو الغرنقي: الكركي أو طائر يشبهه. اهـ. ويجب أن تصلح عبارة القاموس هكذا: الغرنوق كزنبور وفردوس: طائر مائي ويريد به العراقيون النحام والكلمة العربية عن اليونانية بمعنى الكركي وقد وردت بهذا المعنى أيضاً عندهم والغرنوق في بلاد السودان هو نوع من الكركي اسمه العلمي وعند أهل المغرب هو نوع آخر من الكركي اسمه العلمي - ومن أسمائه في العربية الشرخاب قال السيد المرتضى في التاج في مادة سرخاب أو في مستدرکها: السرخاب بالضم، أهمله الجماعة وذكره أحمد بن عبد الله التيفاشي في كتاب الأحجار وقال: إنه طائر في حجم الإوز (أي أن كبر جسمه بكم الإوز وهو أمر لا اختلاف فيه لكن لا يراد بذلك أنه بطول الإوز كما يؤخذ من كلام الدكتور أمين أفندي المعلوم في المقتطف ٣٦: ٧٦٦) أهر الريش ويوجد ببلاد الصين والفرس وأهل مصر يسمونه البشمور (واليوم يسمونه البشروش وهي تصحيف أختها) ويلقون ريشه في المراكب للزينة. يوجد في عثه حجر بقدر البيضة غير اللون فيه نكت بيض رخو الخك في خواص لانزال المطر في غير أوانه. اهـ. نقله ولم يذكر المؤلف أن اللفظة الفارسية الأصل. وهي كذلك قد وردت في دواوين لغتهم. وهي كلمة مركبة من سرخ أي أهر.

وآب أي ماء وأظن أن الصل في هذا الاسم ما معناه: الطائر الأحمر السابح في الماء ثم اختصروا العبارة فقالوا ما معناه: الأحمر الماء - والظاهر أن الإفرنج المستشرقين الذين نقلوا المعاجم الفارسية إلى لغتهم لم يهتدوا إلى حقيقة هذا الطائر. فقد قال فلرس في معجم الكبير الفارسي اللاتيني ما هذا نصه:

ومعناه ضرب من الطير المائي أحمر اللون. ولم يذكر اسمه باللاتينية ثم قال: ويسميه البعض خرجال أيضاً. ثم زاد على ما تقدم: أي بط بري. فأنت ترى من هذا أنه لم يُعرف ما يقابله عند العلماء. وكذلك لم يعرف حقيقة جنس في ديوانه الكبير الفارسي العربي الإنكليزي. وذكر هناك أنه نوع من البط المائي. والبط والإوز عند العرب بمعنى واحد في كتبهم اللغوية. فهذا القول يوافق وصف العرب للنحام أي أنه على حلقة الوز. ولم يذكر صاحب التاج البشمور في مظنتها وإن كان ذكرها استطراداً في مادة سرخب ولم أعتز عليها في معاجم اللغة العربية التي وصلت إليها يدي.

ومن أستاذة الفارسية أيضاً ميش مرغ أيضاً. لكن البعض يقولون أن المسمى بهذا الاسم هو الحباري. لا النحام. على حد ما اختلف العرب في تعريف الغرنوق. وأما لفظ البشاروش أو البشروش فقد وجدتها في كتب منون اللغة الفرنسية التركية منها. معجم و. ويرتال المطبوع في مطبعة قره بت في الآستانة في مادة إلا أنه ذكرها مصحفة بباء مثلثة فارسية في الأول بدلاً من الباء الموحدة أي بشاروش وهكذا ذكرها أيضاً ش. سامي في معجمه الفرنسي التركي. والأصح في كل ذلك البشاروش بباء مثلثة فارسية في الأول وشين أو سين في الآخر وهي من أصل فارسي بشرو أو بيش رو أي المقدم أو الإمام أو الماشي أمام الكل. وسبب هذه التسمية هو أن هذا الطير إذا سارت في طلب رزقها تولى أحدها قيادتها ليحذرها من الخطر إذا داهمها

وحالما يشعر هذا الوالي الأمين بمشقة تحصل وإن كانت بعيدة يبادر إلى الإجابة بصوت عال كصوت البوق فتهيأ كلها للطيران حالاً. (راجع شرائع طبائع الحيوان لأحمد فارس الشدياق ص ٢٨٣).

وقد صحف التونسيون كلمة بشاروش أو بشروش بصورة شبروش وقد نقلها دوزي في معجمه المذكور وقال أن بوسيه وتريسترام ذكراهما بمعنى النحام. قلنا: وكذا نقلها أيضاً غاسلين في معجمه الكبير الفرنسي العربي. فانظر حرمك الله كيف يجيء الاسم الواحد مصحفاً بموجب لغات البلاد والعباد. وكيف أن للحيوان الواحد أسماء عديدة بدون أن تذكرها المعاجم. وحاصل ما جاء من أسماء النحام الفصيحة والمصحفة هي: النحام والنحاف والغرنوق والسرخاب والبشمور والبرشوش والبشروش والشاروش والبشاروس ولعل له أسماء أخرى لم نقف عليها وأحسن الأسماء كلها هو النحام لأنها من أصل سامي إذ هو كذلك باللغة الآرامية مع الألف الزائدة في الآخر وهو من مزايا لغتهم أي (نحاما) وأما سائر الألفاظ فهي من أصل يوناني أو فارسي أو تركي ونحن في غنى عنها.

٥ النحام على ما وصفه علماء الإفرنج العصريون

قال علماء الإفرنج في تعريفه ووصفه: جنس من الطيور يدنو من السوايح بمنقاره ويشبه الشاهمرجات بساقه لطولها ولهذا عزل كلتا الطائفتين وجعل في طائفة خاصة به هي فرخ من طائفة الشاهمرجات أو الخوائض أي الطويلات الساق. وهو صغير الجسم طويل الساق حتى يبلغ طولها زهاء متر ورأسه صغير ومنقاره صلب في حافيته صفيحات على عرضها على حد ما يرى ذلك في البط وهو موج عند منتصفه وإذا أراد أن يصطاد فريسته كالهلامات والدود والهوام والحشرات وبيض السمك التي يراها على أرياف الغدران والمستنقعات يلقب رأسه بأن يضع الفك الأعلى أسفل

حتى يتمكن أن يتصرف في عقافته - وهو يطير جماعات تعرف بالرفوف (جمع رف) لكثرة أفرادها ويقوم من هبتها مثلث على حد ما تفعله الكركي. وإذا حطت على الأرض اصطفت صفين كالعكر وعشها عبارة عن مدورة تركبها ركوباً عند الحضانة كما يركب الإنسان الحصان ولها صوت كصوت النغير وهو النجم ولحمها لذيد ولاسيما لسانها. واليوم يرغب في هذا الطير لريشها وهي أصناف منها البشروش أو نحام الأقدمين وبالفرنسية وبلسان العلم وريشه كله وردي بديع اللون ما خلا الجناحين فغنيهما أحمران ملتھان ومثل لونها لون المنقار وهو كثير الوجود في العراق وفي ديار فرنسا الواقعة على سواحل بحر الروم. - والنحام الأحمر أو البهمن وبلسان العلم وهو كثير الوجود في أصقاع أميركا الجنوبية وهي اصغر قداً من النحام السابق ذكره وألوانه أزهي وأهلي. والنحام ذو الرداء الناري وبلسان العلم ولونه أحمر واضح وهو يوجد في أنحاء باتاغونية وبرونيس آيريس. - والنحام القزم وباللاتينية ويكون في ربوع الرجاء الصالح وفي سنغال وهو دون ما جانسه من هذا الطائر بنصف.

وهذه الطيور تعيش غالباً في القصباء والحلفاء والآجام والعياض وهي تبحث عن رزقها فيها كما يفعل البط والوز تغط مناقيرها فيها لتقع على قوتها. وأكثر ما ترى أنها تجتمع جماعات من ٢٠ إلى ٣٠ طائراً. وسيرها ثقيل ومرتبك وإذا نامت قامت على رجل واحدة وضمت الأخرى إلى الأولى أو تحت بطنها وتخفي رأسها تحت جناحها وإذا كانت كثيرة الحذر يقوم أحدها ديدباناً إذ نام سائر الأخوة والأخوات وإذا ذهبت تسترزق. وهي تخاف الإنسان أكثر ما تخاف الحيوان. ولهذا إذا أراد الصيادون قنصها اختفوا في جلد حصان أو بقرة وذهبوا إليها. وإذا أطلقوا عليها البندقية نالوا منها عدداً وافراً والسبب لأنها تروع من طلقاتها ولا من رؤية ما يموت

منها ولهذا لا تبعد كثيراً عن صقظها فيصاب منها كثير. هذا جل ما يقال عن النحام، وفي الختام أقرأك السلام.

بغداد

ساتسنا.

كتاب مخطوط

عثرنا في هذه الأيام على كتاب مخطوط ذهب منه الجزآن الأول والثالث وبدل على ذلك ما جاء في خاتمة هذا الجزء.

تم الجزء الثاني يتلوه إن شاء الله تعالى أول الجزء الثالث المقصد الثاني في ممالك جزيرة الغرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية.

وتاريخ كتابته ١١٩٣ هـ كتبه عطوة بن علي الهونيني موطناً العباسي الأول.

صحائف الكتاب ٤٥٦ طوله ٣٣ سانتيماً وعرضه عشرون سانتيماً ورقه نياتي وخطه واضح جلي أسطر كل صحيفة ثمانية وعشرون سطراً.

أما المؤلف الكاتب فلم نجد له ذكراً فيه ويظهر أنه شافعي المذهب ومن رجال أوائل القرن التاسع الهجري ودليلنا على ذلك أنه في ذكره للملك الطبة الرابعة من ملوك مصر وهم الترك ذكر آخرهم الملك المنصور عبد العزيز وحصره في قلعة دمشق والقبض عليه واستجداد المستعين بالله بالأمر من غير سلطان وذلك في ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمان مائة.

موضوع الكتاب :

أول الكتاب الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الأولى في الكلام على نفس الخط وفيه سبعة أطراف وفيه هنا مباحث في فضيلة الخط وحقيقته وفي وضعه وفي عدد الحروف وفي تحسين الخط وقواعد تتعلق بالكتابة وفي مقدمات تتعلق في أوضاع الخط

وقوانين الكتابة وذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخط وهنا بحث عن الأقلام المستعملة في ديوان الإنشآت بزمانه وقال وسأبي في النقالة الثالثة في الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام وذكر المذاهب في أصل الأقلام وهي ستة (١) مختصر الطومار (٢) وقلم الثلث الثقيل (٣) والخفيف (٤) قلم الترفيعات (٥) قلم الرقاع (٦) قلم الغبار هذا هذا يحمل ما في هذا الجزء من المباحث وكلها جليلة ويظهر أن هذا الجزء يشمل على مقالتين المقالة الأولى في على الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب وقد فقدت من هذه المقالة الباب الأول.

والمقالة الثانية موجودة برمتها وهي في المسالك والممالك تشمل على أربعة أبواب وتحت كل باب تقسيمات وتفريعات تفوت الإحصاء وكلها في موضوعات مفيدة. الباب الأول في ذكر الأرض على سبيل الإجمال وفيه بحث عن معرفة شكل الأرض وما اشتملت عليه من الأقاليم وفي أطوالها وفي ذكر البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان وفي كيفية استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها هذا إجمال ما يشتمل عليه الفصل الأول من الباب الأول والفصل الثاني في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ومقراتهم في القديم والحديث وما انطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم ومات كانت عليه من الترتيب وما هي عليه في عهد مؤلف الكتاب قال وإما من وليها (الخلافة) فعلى أربع طبقات الطبقة الأولى الخلفاء من الصحابة (رض) الطبقة الثانية خلفاء بني أمية الطبقة الثالثة خلفاء بني العباس الطبقة الرابعة خلفاء بني العباس في الديار المصرية وذكر خلفاء الطبقات الأربع وسني توليتهم الخلافة ووفياتهم ومقراتهم.

وفي الفصل الثاني من الباب الثاني بحث جليل عن ترتيب الخلفاء في الصدر الأول وشعارها وبحث في توليه الملوك من الخلفاء والوظائف المعبرة عندهم.

والباب الثالث في ذكر مملكة مصر ومضافاتها وفيه طرفان الطرف الأول في الديار المصرية وفيه سعة مقاصد المقصد الأول في فضلها ومحاسنها المقصد الثاني في ذكر خواصها وعجائبها وما بها من الآثار القديمة المقصد الثالث في ذكر نيلها ومبتدئه ومنتهاه وهنا قال وقد ذكر الحكماء أنه ينحدر من جيب القصر إما بفتح القاف والميم كما هو المشهور وإما بضم القاف وسكون الميم وهنا بحث في طول النيل وعرضه والبلاد التي يمر فيها وفي زيادته ونقصه ومقاييسه.

المقصد الرابع في ذكر خلدجانها وبحراتها والخامس في جبالها والسادس في زروعها ورباحينها وفراكتها والسابع في ذكر مواشها ووحوشها وطيورها والثامن في ذكر حدودها والتاسع في ابتداء عمارتها والعاشر في ذكر قواعدها القديمة والمستقرة والحادي عشر يشتمل على ذكر خطتها.

والفصل الثالث في المقالة الثانية في ذكر كور الديار المصرية وأعمالها والفصل الرابع في ذكر ملك الديار المصرية جاهلياً وإسلاماً وطبقاتهم والفصل الخامس من الباب الثالث من المقالة الثانية ذكر في ترتيب أحوال الديار المصرية وفيه بحث في ذكر معاملاتهما وما يعامل به وزناً وما يعامل به معاده وفي الفلوس المطبوعة بالسكة وغير المطبوعة وفي المهنات والمكيلات والمقيسات وأرض الزراعة والأبنية والأقمشة والأسعار.

وفي الجسور والمعابر والجسور البلدية وري السواقي وهنا بحث في طرق زراعة الأرض وصوف الزروع.

وبحث في وجود أموالها الديوانية والمقصد الثالث في ترتيب المملكة وفيه بحث عما كانت عليه في زمن أعمال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية كذكر الآلات الملوكية من التاج والقضيب والسيف والدواة والرمح والدرقة والحافر

والمظلة والأعلام والنقارات والخيام وفي حواصل الخليفة وهذا كما كانت عليه أحوال الديار المصرية في عهد الفاطميين وفي هذا المقصد أبحاث تتعلق في الوظائف والدواوين وفي مواكب الخلافة المختلفة ويذكر في هذا المقصد قصيدة عمارة اليمنى التي يرثي فيها الفاطميين بعد انقراض دولتهم واستيلاء السلطان صلاح الدين الأيوبي عليها وصف بما مملكتهم وعد مواكبهم وحكى مكارمهم وجلى محاسنهم وأورد ما برمتها.

ثم يذكر أحوال الدولة الأيوبية ورسومها وأحوال الدول التي انتقلت إليهم الديار المصرية إلى زمان المؤلف.

وهنا أبحاث مفيدة يتجلى منها ما كانت عليه أحوال الدولة القديمة من الترتيب والانتظام.

والفصل السادس من المقالة الثانية في المملكة الشامية وما يتصل بها من بلاد الأرمن وبلاد الجزيرة بين الفرات ودجلة مما هو مضاف إلى همد المملكة وفيه أربعة أطراف. الطرف الأول في فضل الشام وخواصه وعجائبه وفيه مقصدان الأول في فضل الشام الثاني في خواصه وعجائبه وهنا يذكر ما يراد فيه من العجائب كحمة طرية وقبة العقارب بمدينة حمص وعين الفواردة داخل البحر الماخ على القرب من ساحل مدينة طرابلس ووادي الغور إلى غير ذلك.

الطرف الثاني في حدود وابتداء عمارته وتسميته شاماً وفيه مقصدان الأول في حدوده والثاني في ابتداء عمارته.

الطرف الثالث في أنهاره وبحيراته وفيه خمسة مقاصد الأول في ذكر الأنهار العظام في بلاد الشام الثاني في ذكر بحيراته الثالث في ذكر جباله وهنا جاء فيه عن جبل عاملة ما هذا نصه:

وهو جبل مُتد في شرقي بحر الروم وجنوبه حتى يقرب من مدينة صور وعليه شقيف
أرنون نزله بنو عاملة بن سبأ من عرب اليمن عند تفرعهم بسيل العرم فعرف بهم
المقصد الرابع في ذكر زروعه وفواكهه ومواشيه والخامس في ذكر مواشيه والسادس
في ذكر النخيل من مطعوماتها.

الطرف الرابع في ذكر جهاته وكوره وقواعده المستقرة وأعمالها وفيه مقصدان الأول
في ذكر جهاته وكوره القديمة وهنا يذكر اصطلاح القدماء بتقسيمه إلى خمسة أجناد
جند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين.

المقصد الثاني في ذكر قواعده المستقرة وأعمالها القاعدة الأولى دمشق وأعمالها غرة
والرملة وقافون وهي الجهات الساحلية والجلبية وهي القدس والحليل ونبلس
والقبية عمل بيسان وبانياس ومنها قلعة الصبية وعمل الشعراء وعمل نوى وعمل
أذرعان وعجلون والبلقاء والصلت وصرخد وبصرى وزرع والثالبية وهي بعلبك
وعمل البقاع البعلكي وعمل البقاع العزيزي وعمل بيروت وعمل جبل وعمل
صيدا والشرقية وهي على ضربين الضرب الأول ما هو داخل في حدود الشام وهو
غربي الفرات ويشتمل على خمسة أعمال حمص ومصيف وقارا وسلية وتدمر
الضرب الثاني وذكر منها الرحبة وجعبر.

القاعدة الثانية حاب وذكر أعمالها الساحلية والجلبية ومن أعمالها الرها.

القاعدة الثالثة حماة وذكر أعمالها القاعدة الرابعة طرابلس وذكر أعمالها والخامسة
صفد وذكر أعمالها وهي إحدى عشر عملاً وهي عمل تبين وهونين وجاء فيه عند
ذكرهما وهما حصان بنا بعد الخمس مائة بين صور وبانياس بجبل عاملة المتقدم ذكره
في جبال الشام المشهورة وجعل العثماني قلعة هونين من عمل الشقيف وأهل هذا
العقل رافضة.

القاعدة السادسة الكرك و ذكر أعمالها وهي الشوبك وزعر ومعان.

الطرف الثاني من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثالثة فمن ملك البلاد الشامية وملوكها وهو على قسبن الأول ملوكها قبل الإسلام وهم أربع طبقات الطبقة الأولى الكنعانيون الثانية الإسرائيليون الثالثة الفرس الرابعة اليونان والرومان. القسم الثاني من ملوك الشام ملوكه في الإسلام وهم على ضربين الضرب الأول عمال أصحابه (ص) فمن بعدهم من نواب الخلفاء إلى حين استيلاء الملوك عليه.

الضرب الثاني من وليها ملكا

الطرف الرابع من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية في ذكر أحوال المملكة الشامية وفيه مقصدان.

المقصد الأول في ترتيب نياباتها على ما هي مستقرة عليه قال قد تقدم أن الممالك المعترة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد وكل مملكة منها قد صارت نيابة سلطنة مضاهية للملكة المستقلة.

ثم ذكر كل نيابة وأحوالها في المعاملات ونحوها على مثال ما ذكره من أحوال الديار المصرية في الفصل الخامس من الباب الثالث من المقالة الثانية.

المقصد الثاني ترتيب ما هو خارج عن حاضرة دمشق وهو على ضربين الضرب الأول ما هو خارج عن حاضرتنا من النيابات والولايات قال وقد تقدم أن لدمشق أربع صفحات غربية وهي الساحلية والقبلية والشامية والشرقية ففي الصفقة الأولى وهي الغربية عشر نيابات وخمس ولايات فأما النيابات فمنها غزة والقدس والولايات فمنها ولاية الرملة واللد وقاقون وبلد الخليل ونابلس.

وأما الصفقة القبلية وهي الثانية ففيها نيابات وثمان ولايات فأما النيابات فالأولى منها نيابة قلعة صرخد ونيابة عجلون وأما الولايات فالأولى ولاية بيسان وواليها جندي

الثانية ولاية بانياس وواليها جندي تارة وتارة أمرة عشرة والثالثة ولاية قلعة الصبية الرابعة ولاية الشعراء الخامسة ولاية أذرعات السادسة ولاية حسان والصلت من البلقاء السابعة ولاية بصرى واليها جندي الصفقة الثالثة الشمالية وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات فأما النيابة فنيابة بعلبك وأما الولايات فالأولى ولاية البقاع العلبكي الثانية ولاية بيروت الثالثة ولاية صيدا الصفقة الرابعة الشرقية وهما ثلاث نيابات وأربع ولايات.

ثم ذكر نيابة حلب على نحو نيابة دمشق ونيابة طرابلس ونيابة صفد ومنها ولاية نين وهونين وولاية الشقيف.

الفصل الثالث من الباب الثالث من المقالة الثانية المملكة الحجازية وفيه طرفان الطرف الأول في فصل الحجاز وخواصه وعجائبه الطرف الثاني في ذكر حدوده وابتداء عمارته الخ.

وذكر قواعده وهي مكة المشرفة وهنا ذكر ملوكها قبل الإسلام وفي الإسلام وهم طبقات وبين نرتيها والمدينة الشريفة وذكر نواحيها وأعمالها وملوكها من بني إسرائيل وفي الإسلام وهم أربع طبقات الطبقة الأولى من كان بها في صدر الإسلام الطبقة الثانية عمال الخلفاء من بني أمية الطبقة الثالثة عمالها في زمن خلفاء بني العباس الطبقة الرابعة أمراء الأشراف من بني حسين إلى عهد المؤلف.

ثم ذكر ترتيب المدينة النبوية فقال أما معاملاتهما فعلة ما تقدم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدرهم الخ.

الباب الرابع من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية وفيه أربعة فصول الفصل الأول في الممالك والبلدان الشرقية عنها وما ينخرط في سلكها من شمال أو جنوب وفيه أربعة مقاصد الأول في الممالك الصائرة إلى بيت جنكيزخان

وفيه جملتان الحملة الأولى في التعريف بأسك جنكيزخان ومصير الملك إليه والثانية في عقيدة جنكيزخان.

ثم ذكر ممالك جنكيزخان على التفاصيل وهي مملكتان الأولى مملكة إيران ويذكر حدودها وأقاليمها وهي بابل والمدائن وبغداد وسر من رأى والإقليم الأول الجزيرة الفراتية الإقليم الثاني العراق وقواعدها ومدنها ومن المدن التي بالعراق ميت والحيرة والكوفة والبصرة وواسط وحلوان والحلة والنهروان والإبلة والقادسية وعبادان. ثم يذكر بعد ذلك طبقات ملوكها جاهليةً وإسلاماً وترتيب هذه المملكة كعادته في غيرها.

المملكة الثانية مما بأيدي جنكيزخان توران. هذا جل ما في الكتاب من الموضوعات وندع الكلام عنه بتفصيل أكثر حتى نقف على آراء الباحثين فيه ولعل فيهم من لا يجهل اسم الكتاب واسم مؤلفه المجهول لنا. على أننا سنوالي البحث عن الجزئين لفقودين منه علنا نعثر عليهما والكتاب عثرت عليه أنا وصديقي الأستاذ الشيخ أحمد رضا.

البتية - جبل عامل:

سليمان ضاهر.

مرآة الشباب

أصدقته العلاء فيستريب ... ويدعوه الفسوق فيستجيب
وتخطيه الكزوس فيجتبها ... شملاً دون لذعتها اللهب
كأن شروها إذ يحتسيها ... ريباً حين أعوزد العجيب
يحرق إرماً إثر ارتعاص ... بدا منه بجهته قطوب
نحجب له استارعي ... فكفه المثالب والعيوب

سرى يبغي العلاء فحين داني ... ورود حياضه شع القريب
وحالت دونه أكوأب دن ... ترشفها فأدر كه الشحوب
فتى عبت به أيدي التصابي ... كما في الطير قد عبت الريب
رماه بدائه وانسل كوب ... وهل يأتي بغير ألفي كوب
وراقته مداعبة العواني ... فقلز يرشده الصوت الرطيب
ارتمن لحاظهن ضروب سحر ... وللغادات من سحر ضروب
فبات كان في أذنيه وفراً ... إذا ناداه مرشده اللبيب
وظل ولا طيب لما عراه ... وهل ينجي من الموت الطيب
إذا خطبه مكرمة تولى ... وإن نادته غانية يجيب
تعاطيه الكزوس فتاة دل ... فيطرب وهو لو علم الكتيب
وتطوي عرسه الأيام صبراً ... وساقيه بدرهمه لعرب
ترى الدينار يرقص في يديه ... وقد اضني بنيه طوى مذيّب
إذا ما مومي خطرت تدلى ... وتابع خطوها وله وثوب
يحن إلى دنو فتاة سوء ... وقد ظمأت حليلته العروب
ويؤنسه حديث ذوات تيه ... وقد مجته منهن القلوب
ينام فأراه حتى إذا ما ... تصرم هب يحود الغروب
تزم به غواتيه فيسعى ... فلا نصب يقيه ولا لغوب
يجوب بغاء غانية فقاراً ... وما لسوى الهوى قفراً يجوب
ويركب متن حدثان اللبالي ... فيلوي حينما ابتداء الركوب
يهب إلى الشبية بعد عجز ... ويهرجها إذا يبدو النضوب
كأن شبابه كرة ازدهاء ... فجاد من الحياة بما يطيب

كأن حياته هانت عليه ... فجاد من الحياة بما يطيب
 كأن سنينه أحلام صب ... صحا فإذا نضارتما نكوب
 كأن حجاره غادر أصغرية ... وآلى في الشبية لا يزوب
 متى يدن المشيب يثب هداد ... إليه كأنما الموت المشيب
 وزجر الشيب أعمل في نفوس ... من السم اللدان إذا تصيب

دمشق:

خير الدين الزركلي.

مطبوعات ومخطوطات

ثلاثة كتب

كتاب الألفاظ الكتابة وكتاب الألفاظ الأشباه والنظائر وكتاب الألفاظ
 هذه ثلاثة كتب مختلفة العناوين ومختلفة أسماء المؤلفين والموضوع واحد والنص واحد
 والمؤلف الحقيقي واحد لكن قضى التسرع على ناشرها أن يصدرها بأسماء مؤلفين
 هم غير كاتبها أو مصنفها كما سترى.

فالعنوان الأول هو اسم الكتاب الذي تولى طبعه الأب لويس شيخو. فقد جاء في
 مفتاح السفر المذكور وهو الذي بأيدينا ما هذا نقل حرفه: كتاب الألفاظ الكتابة
 لعبد الرحمن بن عيس الهمداني. اعني بضبطه وتصحيحه الأب لويس شيخو
 اليسوعي. طبع سابعة بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٨ برخصة نظارة
 المعارف الجليلة في الآستانة العليا. حتى الطبع محفوظ للمطبعة.

والعنوان الثاني هو اسم الكتاب الذي عني بنشره أحد عليما بغداد واليك ما جاء في
 صدره: كتاب ألفاظ الأشباه والنظائر للإمام اللغوي عبد الرحمن بن سعيد الأنباري
 عليه رحمة الباري. وهو كتاب لم ينسخ على منواله ناسخ، ولم يسلك طريق مناهجه

ناهج، مشهور عند أرباب اللغة والأدب، مترع من أوعية السنة العرب. قديم
التصنيف، عجيب الترتيب والتأليف، سليم من الغلط، حسن الأسلوب والنمط، وقد
طبع بعد تصحيح أبي البركات خير الدين السيد نعمان ابن المفسر المشهور محمود
أفندي الألوسي زاده، مفتي بغداد، سهل الله تعالى له كل مطلب ومقصد يراد، آمين.
- التمثيل الأول. - طبع برخصة نظارة المعارف في القسطنطينية سنة ١٣٠٢. (هـ)
- ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م) طبع في مطبعة أبو الضياء.

والعنوان الثالث هو اسم الكتاب المذكور على رواية صاحب كتاب الفهرست (أي
ابن النديم الوراق) فقد قال في ص ١٣٧ عبد الرحمن بن عيسى الهمداني (بالدال
المهمله) كاتب بكر بن عبد العزيز أبي دلف. وكان شاعراً كاتباً وله من الكتب:
كتاب الألفاظ. وقال في ص ١٧١ من الكتاب المذكور: كتاب الألفاظ (وفي الأصل
مطبوع ألفاظ وهو غلط الطبع) لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني (بالدال المهمله).

فأي العناوين هو الأصح وما اسم المؤلف من التحقيق؟

قلنا: أصح هذه العناوين هو ما ذكره ابن النديم لأن المؤلف قديم وله أمم الوقوف على
أسماء الكتاب والمصنفين وكل من يطالع كتابه الفهرست يشهد له بسعة الإطلاع
وغزارة العلم فعنوان الكتاب هو إذن كتاب الألفاظ وزيادة الكتابة في من النسخ،
وزيادة الأشباه والنظائر هي من زيادة النسخ أيضاً أو من الواقف على طبعه وعليه
فالأوفق أن يعاد العنوان إلى صحته بدون زيادة.

وأما اسم المؤلف الحقيقي فلا جرم أنه الاسم الذي أورده ابن النديم أي: عبد الرحمن
بن عيسى الهمداني (بدال مهمله) وميم ساكنة نسبة إلى همدان وهي قبيلة باليمن من
همير ينسب عليها جماعات عديدة من العلماء. لا نسبة إلى همدان ميم مفتوحة وذال
معجمة فإن هذه اسم بلدة من بلاد فارس. ووهم الطابع في هذا الاسم هين. لكن

وهم العلامة الآلوسي عظام لأنه وإن كان قد كتب على أول صفحة من الكتاب أنه لابن الأنباري فكيف جاز له أن يكتب على رأس كل صفحة من صفحاته (وهي ١٣٢) هذه الكلمات: كتاب الألفاظ لعبد الرحمن بن عيسى. فكان يجب عليه أن يطابق أحد الأمرين على الآخر إما أن يقول إنه لابن الأنباري في صدر الكتاب ومثانيه وإما أن ينسب لابن الأنباري أولاً وآخرأ. على أن عمله هذا أبان كل الإبانة أنه غلط لا محالة. ومن غريب الأمر أن الشيخ الآلوسي ذكر ترجمة ابن الأنباري قبل أن يذكر مقدمة المؤلف ولها أورد هذه المقدمة قال فيها: قال عبد الرحمن بن عيسى حماد: الصناعات مختلفات. . . فكيف لم ير البون البين بين النسين وهما واضحان متميزان. على أن الإنسان إذا تذكر هذا الكلام المأثور: لكل عالم هفوة ولكل جواد كبرة. تحقق أن أعظم العلماء قد يزل مع عليه من حسن النية وإخلاص الطوية.

وفي نسخة صاحب كتاب الألفاظ بعض الاختلاف فطبعة بيروت تقول في ترجمة عبد الرحمن وفي المقدمة: عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني الكاتب. وطبعة الآستانة تقول: عبد الرحمن بن عيسى بن حماد وابن النديم يقول: عبد الرحمن بن عيسى الهمداني. فلا غرو أن نسب حماد داخل في نسب عبد الرحمن لكن هل ترى كان من أجداده أم لقب أبيه. فهنا ما لا يتضح إلا بعد التنقيب عن هذا الاسم في عدة نسخ وفي ذكر نسب المؤلف كمعجم الأدباء لياقوت. ولهذا لا نجزم فيه.

ومن غريب الأمر أن طابع النسخة البيروتية مع وفرة اطلاعه على المطبوعات العربية في الشرق والغرب لم يذكر طبعة هذا الكتاب في القسطنطينية. فهل كان منه جهلاً أم تجاهلاً؟ نقول: الأليق أن نقول أنه فعل ذلك منه لأن نسخة الآستانة وإن طبعت قبل نسخته فإنها لم تطبع إلا قبل أربعة أشهر فقط ولما كانت مطبوعات الآستانة قليلة الشهرة لخلو الحاضرة من الجرائد العربية يومئذ هان لنا أن نفهم جهله لما يطبع هناك.

وعلى كل فكان الأجدر به أن يذكر هذه الطبعة في السخ التي جدد نشرها بعدئذ.
ولعل الأمر فاته بالمرّة وهذا ليس بعيد. وأما بعد الآن فهو ليس بمعذور.

وإن سألتني أي النسخين هي الفضلى: الطبعة الآلوسية أم الطبعة البيروتية؟
قلنا: عليك أن تعلم قبل هذا أن الطبعين وإن كانتا تتفقان بعض الأحيان تختلفان في
أغلب المرات. وهذا الاختلاف موجود في الأبواب وفي كثرة المواد. فإنك مثلاً تجد
أبواباً غير مذكورة في الطبعة الآلوسية وهي مذكورة في الطبعة البيروتية طوراً
وبالعكس. ثم إنك تجد في الباب الواحد مادة وافرة في نسخة دون النسخة الأخرى.
هذا فضلاً عن الاختلاف في تنالي الأبواب وفي عناوينها ثم إنك تجد في الطبعة
الآلوسية أغلاط طبع لا تحصى كما أن أغلاط الطبعة البيروتية في اللغة كثيرة.
وقبل أن نصدر حكم المفاضلة بين النسخين نذكر باب المعايير في كلتا الطبعين
ليمكنك أن تقبل حكماً أو تردده بعد الاطلاع على مثال يكون لك بمنزلة قياس
تقيس عليه ما ورد في كلتا الطبعين.

1 جاء في الصفحة ١٢ من كتاب الألفاظ المطبوع في الآستانة ما هذا نصه:

باب المعايير

يقال ثلب فلان (حاشية: قال الواقف على تصحيحه: لعل فلاناً بالنصب. ولكنه
كتب بالرفع (كذا). وهذا من غلط الطبع والأصح: الرفع) في الأصل مصححه. قال
صاحب هذه المقالة: الصح أن يقال: ثلب فلاناً. وأما فلان فمن غلط الناسخ لا غير.
وقصبهن وشترو، وضرسه، وسمه به، وندد به، وشرديه، وسعيه، وتنقصه، وعابه،
وجد به، ووقع به، وشعث منه، وألحم عرضه، وقرخ صفاته، ورتغ في عرضه، وسبه،
وقدعه، وزودده الخنا، وأخذ من جنبه، وقرخ مسامعه، ومزق أذنيه، وقرخ مروته،
ونحت إنثته بالفتح، واخذ من عرضه، واتبعه القبيح، وذكر معايير، ومثاله، ومعاير،

ومشائيه، ومناقصه، ومحازيه، ومساويه، ومقايحه، ومقادره ومفاضحه، وسواته،
ومساته. قالت ليلي الأخيلية:

لعمر ك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحيوة المعابر

والقدح، والحناء، والرفث، والفحش هو قبيح الكلام، ويقال فلان بذي اللسان،
ملح، سباب، وقد بدو يبدوه بداءة، والإزراء، والطعن والقدح، والغميرة (كذا)
والعبر، في طريق واحد، ويقال: كان من فلان نوافر، وبوادر، وقوارص، وشتائم،
وقد سفه علينا إعلان سفاهة، ولم يكن سفيهاً تقول: نعوذ بالله من قوارعه، وقوادعه،
ونوافره، وقوارص لسانه.

2: وجاء في هذا الباب في الصفحة ٢٠ من الطبعة البيروتية بهذا الصورة:

باب الثلب والطنع

تقول: مازال فلان يذكر معائب فلان، ومثالبه، ومساونه، ومقايحه، ومشائيه،
ومقادره، ومناقصه، ومحازيه، ومعايره، ومساءته، وسواته.

قالت ليلي الأخيلية في المعابر:

لعمر ك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحيوة المعابر

ويقال: ثلب فلاناً، وتنقصه، وعابه. (ويقال:): عبرته كذا، ولا يقال بكذا.
قال النابغة:

وعيرتني بنو ذبيان خشيتهم ... وهل عليّ بأن أحشاك من عار

ويقال: نكرت على فلان ما صنع وأنكرته ونكرته. (ومنه قول القرآن الجليل:)
نكروا لها عرشها أي غيرود.

ويقال: شعبة، وجدبه جذباً، وقصبه، وجرحه، وشز به، وشزبه، وشز عليه، وضرسه،
وشعث منه، وسمع به، وندد به، وزرى عليه. (يقال:): زرى فلان على فلان فعله إذا

عابه. ونقصه زرياً، وأزرى به إذا صغرد إزراءً. وقدح فيه، وطعن عليه، ونقم عليه
ومنه وفي عرضه سبه، وقذعه، وقفاد يقفوه، وطاحه بقيق إذا لطخه به، ووقع فيه،
وقرع صفاته إذا قال قبيحاً في عرضه، ونحت أثله، واستطال في عرضه (والفحش،
والقدح، والحناء، والرفث، القبيح من الكلام). (يقال: فلان بذى اللسان، ملحب،
وسباب، أحمته عرض فلان إذا أمكته من شتمه. (والإزرار، والطعن، والقدح،
والغميزة، والتعبر (في طريق واحدة). (وتقول: قد كانت في فلان قوارص، ونواقر،
وشتائم. (فتقول: نعوذ بالله من قوارعه.

ولوادعه، ولوادعه، وقوارص لسانه، وبذى فلان يبذأ، وبذؤ يبذؤ بذاءة، وقد رسفه
علينا سفاهة، ولم يكن سفياً وقد سفه.

قال ترى بين هاتين النسختين فرقاً ظاهراً. والصواب والغلط يتجاذبان الطرفين فمرة
يكونان في هذه النسخة ومرة في تلك فتمسك أنت بما يوافق الصحة.

وبعد هذا التبين نقول: إن نسخة بيروت أصح طبعاً من نسخة الآلوسي. فإن
الأغلاط التي وردت في طبع هذه الأخيرة تنفر كل إنسان من مطالعتها. ومع ذلك
ففيها من الفوائد ما لا تراءد في النسخة البيروتية. ولهذا يجدر بأحد الأدباء أن يجمع بين
النسختين ويصحح الواحدة. على الأخرى ليكتب رضا الجميع في إحياء مآثر
السلف.

الخلاصة

كتاب الألفاظ (ولا يجوز لك أن تغير هذا العنوان بقولك: كتاب الألفاظ الكتابية. أو
كتاب ألفاظ الأشباه والنظائر) هو لعبد الرحمن بن عيسى (بن) حماد الهمداني نسبة إلى
همدان القبيلة اليمانية المشهورة. وليس لعبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري،
لاسيما إن علمت أن ابن الأنباري ولد سنة ٥١٣ هـ وتوفي سنة ٥٧٧ هـ وأن الهمداني

توفي سنة ٣٢٠ وان من النسخ القديمة الكتابة التي ظفر بها الطابع البيروتي ما كتب سنة ٥٢٢ أي تسع سنوات بعد ولادة ابن الأنباري فلا يعقل أنه ألف كتابه في هذا العمر. وعليه يجب تصحيح ما ورد من الخطأ والوهم في هذا الباب. فإن تفعل تحظ بالصواب.

ساتنا.

وصف كتاب جامع التعريب، بالطريق القريب
من تأليف أحد علماء القرن الثاني عشر الهجري أو السابع عشر
الميلادي.

في جامع مرجان من جوامع بغداد خزانة كتب جليلة من وقف نعمان الألوسي المؤلف الشهير ابن المؤلف الكبير محمد الألوسي. وبين كتبها الخطية كتاب اسمه جامع التعريب، بالطريق القريب. إلا أن صاحبه لم يذكر اسمه لا في صدر الكتاب ولا في عجزه. والظاهر أنه عالم من علماء القرن الحادي عشر للهجر نقول ذلك تقريباً وتكهناً ولا تأكيداً وثبتاً اعتماداً على كلام صاحب كشف الظنون المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ ١٦٥٨ م إذ يقول عن معرب الجواليقي: وهو كتاب لم يعمل فيه أكثر منهفالظاهر من هذا القول أن الحاج خليفة لم يعرف هذا الكتاب الذي نشر إليه لعدم وجوده يومئذ. وإلا لما قال تلك العبارة. ثم أن مؤلف جامع التعريب لم ير كتاب الخفاجي لأنه لو رآه أو كان ممن عاش قبله لذكره أيضاً في مقدمته وعليه نظن أن الكاتب كان في عصر الحاج خليفة والخفاجي نفسيهما.

وهذا الكتاب من أوسع وأحسن ما كتب في هذا الموضوع والنسخة الموجودة أمامنا حسنة الخط طولها ٢٢ سنتيمتراً في عرض ١٧ وفيها ٣٦٠ صفحة وفي كل صفحة ٢٥ سطراً وهي مجلدة بالسختيان والكاغد أخضر اللون. قال الناسخ في آخرها: تمت

كتابه في سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٠٣ بخط أفقر الرودي وأضعفهم إلى الغنى القوي عبد الكريم بن أحمد بن محمد الطرابلسي الحلبي الحنفي غفر الله له ذنوبه آمين.

وإذا وقفت على مقدمته عرفت بعد منزلته. قال: الحمد لله الذي صان بلغة العرب الكتاب والسنة. وظهر بها على غيرها من اللغات الفضل والمنة. ومنع بمن أقامه بضبطها الأجنبي والغريب. وميز لهم ما وقع بها من الأعجمي وما فيه من التعريب أحمدده على التوفيق لسلك الأدب. ولزوم تحصيل فضائل العجم والعرب أما بعد فإني بعد أن وقفت على كتاب المعرب ابتداء الأستاذ أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الجوالقي شكر الله مسعاده. وجعل الجنة مقره ومثواه. كان محتاجاً إلى تنمة في الترتيب. وزيادات فائقة في آثار التعريب. ظفرت بكتاب الترتيب والتكميل. مما اسعمل في اللفظ الدخيل. الذي جمعه الفاضل النجيب جمال الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر بن موسى العذري الرثوي الشهر والدده بشي (ويروى سبي) بخطه. فوجدته والله قد أفرغ الوسع في التبع والامتنان بمهمة تقارب رتبة الاجتهاد. بل أحسن فيه الجمع وحسن الترتيب. ومعونة للطالب والأديب. غير أن فيه تكراراً وإطالة ربما تفضي إلى الكسل والملالة. فأجبت أن أختصر من الأصل ما زاد جرياً على المؤلف والمعارف والمعاد، مع رعاية الاختصار والإيجاز. وتبين ما يتحقق الإحاطة به والامتياز. مع زيادات وحسن تلخيص. تباعداً عن الإسهاب والتحصين. وسميته: جامع التعريب. بالطريق القريب. والله أسأل المعونة والتوفيق. - ثم قال: باب المنزلة مع الألف: آب وهو يكتبها هكذا آاب أب بألف ممدودة وراءها ألف هاوية كما كان يفعل الأقدمون في مثل هذه الألفاظ. ثم

يذكر بعدها آحاص. آاجر. آاحنقان. آاذار. آدم. الخ. وهو يشرح كل لفظة شرحاً مشعباً لا يبقى لمستزيد زيادة.

إلا أن الناسخ وإن كان حسن الخط وخطه تعليق إلا أنه لا يحسن النسخ ولهذا فقد مسح ألفاظاً كثيرة ولجهله معناها فصورها بصورة مألوفة السمع سهلة الفهم لكن لا تطبق على بقية العبارة: فلهذا يحتاج القارئ إلى التيقظ التام في تصفح الكتاب. وفي شرحه بعض الألفاظ شروح إضافية الذليل، ناقلاً إياها عن عدة كتب سبقه مما يحرص عليها كل الحرص. وربما خرج في كلامه إلى ما محل له كما كان يفعل المصنفون في سالف العهد. - والمؤلف قد أدخل في سفره ألفاظاً جمّة لم ترد في معربات الجواليقي ولا في شفاء الغليل ولا في غيرهما من مؤلفات هذا القبيل. ولهذا نرى طبعه من الضروريات. وربما ذكر في كتابه أعلام المدن والرجال لكنها دون الألفاظ الجنسية عدداً واعتناء.

وقد حان لنا أن نعطي مثلاً من كلامه ونذكر ما جاء في أبو جاد من الشرح وقد ورد في الصفحة ١١ من النسخة المذكورة. وهذا نصه بحرفه:

أبو جاد لفظ سرياني قيل أنه اسم ملك من الأول وكذا هوز. حطي قيل اسم لأول أيام الأسوخ عن سيويه. أبو جاد وهوز وحطي بياء مشددة أسماء عربية وأما كلن وسعفص وقريشات فإنهن أعجميات لا يتصرفن وأنشد:

أتيت مهاجرين فعلموني ... ثلاثة أحرف متابعات

وخطوا لي أبا جاد وقالوا ... تعلم سعفصاً وقريشات

قال أبو سعيد السيرافي: فصل سيويه بين أبي جاد وهوز وحطي فجعلهن أعجميات. وكان أبو العباس يميز أن يكن كلهن أعجميات. وقال بعض الخجيين بسيويه: إنه جعلهن عربيات لأنهن مفهومات المعاني في كلام العرب. ودق جري أبو جاد على

لفظ لا يجوز إلا أن يكون عربياً تقول إن هذا أبو جاد. ورأيت أبا جاد. وعجبت من أبي جاد قال أبو سعيد: والذي يقول أهن أعجميات غير مبتعد عندي إن كان يريد بذلك الأصل فيها العجمة لأن هذه الحروف عليها يقع تعلم الخط السرياني وهي معارف. وقال بعضهم: جاد في قولك: أبو جاد مشتق من جاد يوجد أو من الجواد وهو العطش أو من قولهم جوداً له أي جوعاً له! ووقع النسب في أبي جاد أي في باطل قال الإمام قطرب: قولهم أبجد وهو أبو جاد وإنما حذفوا واوه لأنه وضع للدلالة المعلم. فكره التطويل والتكرار وإعادة المثل فمكتوب أبجد بغير واو وألف لأن الألف في أبجد والواو في هوز قد عرفت صورتاهما وكل ما مثل من هذه الحروف استخني عن إعادته. قال أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني يقال: إن أول من وضع الكتابة العربية قوم من الأوائل نزلوا في عدنان بن أدد فاستعربوا ووضعوا هذه الكتابة على عدد حروف أسمائهم فكانوا ستة نفر أسماءهم: أبجد. هوز. حطي. كلس. سغص. قرشت. وأهم ملوك مدين رئيسهم كلسون فهلكوا يوم الظلة مع قوم شيب عليه السلام فقالت أخت كلسون ترثيه:

كلسون هد ركني ... هلكه وسط المحلة

ميد القوم أتاه الحف تاو وسطه ظله

جعلت نار عليهم ... دارهم كالمضجعة

هذا وقد توهم الصغاني أن حمزة قاتل هذه الأبيات في كتاب التيه على حدوث التصحيف. وليس كذلك ثم وجد ما جاء بعدهم حروفاً ليست من أسمائهم وهي ستة الثاء والحاء والذال والصاد والظاء والعين فسورها الروادف. ويدل على كون أبجد وما بعدها أسماء رجال وضعوا الكتابة العربية عليها كون هذه الكلمة الواقعة على حروف الهجاء لم تنزل مستعملة على ممر الدهور عند كل أمة وجيل من سكان الشرق

والغرب متداولة في الأعداد النجومية وكذا هنا عند السريانيين فهي الأصل الذي يتعلم منه المهجاء تبعهم في ذلك الإسرائيليون من اليهود والنصارى يدرسونه صبيانه في كتابهم قائلين مهجاء العبرانية ألف. باء كمل. دالت. يتبعونه بما بعده على حكاية لغتهم وهذا هو الذي عربيه عرب الإسلام فقالوا أبجد مكان ألف. بأكمل دالت. قال ابن دريد: في حروف المهجاء العربي حرفان لا يجريان إلا على لسان العرب ولا يوجدان في لغات سائر الأمم وهي الظاء والحاء وخرالف في الحاء بأنها موجودة في السريانية والعبرانية والحشية وقيل المضاد لا تقع في لغة الروم كما أن الصاد لا تقع في لغة الفرس والذال لا تقع في لغة السريانيين كما أنه لا يقع في لغة العرب لام بعدها شين وكما لا يقع فيها حرفان من حروف المهجاء لفظهما واحد متجاورين في أوائل الأسماء نحو ششن كك وقد يقعان في أواخرها نحو تكك ومشش إلا في أسماء أصلها فارسية كحوبات وددان كما أنه لا يقع الدال في لغة الفرس في أوائل الأسماء والأفعال وغما تقع في أواخرها وأواسطها وكون أصل المهجاء العربي مؤسس على: أنتث جحد ذررس شصضط ظعفف فكلهم نوهي هو قياس اب ت ت وألف من حروفها وبا وجمل تجري في العربية مجرى أبجد في السريانية لكن هذا الخبر صادر عن رجل كان يولد الأخبار على الأمم الذين بادوا كعاد وثمود وطسم وجديس وأضراهم وإذا احتاج إلى توليد أشعار يؤكد بما تلك الأخبار خرج ملتصقاً ممن يحسن الشعر من الأعراب تقديره أن يقول شعراً من جنس مراده فكانوا يعلنون مثل كلبون هدركني وهذا الرجل هو الذي ادعى على آدم عليه السلام أنه أنشد:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغير فيح
تغير كل ذي طعم وريح ... وزال بشاشة الوجه المليح
وبدل أهلهم إنثاً ومخطاً ... بجنات من الفردوس فيح

وجاورنا عدو ليس يتأتى ... لعين لا يموت فتستريح

فلولا رحمة الرحمن أضحى للعد من جنان الخلد ربح (؟) كذا. والأصح: بكفك.

فيا أسفاً على هاويل ابني ... قتيلاً قد توسد في الضريح

فنسب معاواته إلى نبي الله شعراً ركيكاً واهن الركن ضعيف الأسر ذا أقواء مع ثبوت أن الأقواء من أفبح عيوب الشعر وعدم مطابقة قوله تغيرت البلاد ومن عليها وأين كانت بقاع تلك البلاد ومن كان عليها إذ ذاك. علي بن هشام قال في كتابه النيجان بعد إنشاده هذا الشعر. قال جبير بن مطعم ليس هو إلى آدم عليه السلام بل هو متحول إليه وهود عليه (كذا) واستخف منه زعم من قال أن إبليس أجاب عنها بقوله:

تج عن البلاد وساكنيها ... فقد في الخلد ضاق بك الفسيح

وكنت تعيش وزوجك في رخاء ... وقلبك من ذوي الدنيا فريح

فما انقلبت مكابدي ومكري ... إلى أن فانك الثمن الربيع

فلولا رحمة الجبار أضحى ... بكفك من جنان الخلد ربح.

ولعمري كم من مفسر ومؤرخ يذكر هذا الشعر ولم ينبه على ضعفه ووضع فكم ترك الأول للآخر. وكم دام من السخف على الخواطر. وقد جاءت روايات عارية من الحال محققة للسحان من الأنبار إلى الحيرة ثم من الحيرة إلى مكة والطائف وتسويده ما روي عن يحيى بن جعدة أنه قال سألت المهاجرين من أين صارت إليكم الكتابة بعد أن لم تكونوا كنية فقالوا من الحيرة فسالنا بعده من أهل الحيرة من أخذتموها فقالوا من أهل الأنبار وروى ابن الكلبي والهيثم بن عدي: أن الناقل لهذه الكتابة من العراق إلى الحجاز حرب بن أمية وكان قدم الحيرة قدما فعاد إلى مكة بها. قال: وقيل لأبي سفيان بن حرب من أخذ أبوك هذه الكتابة. فقال من أسلم بن سدره وقال

سالت أسلم من أخذت هذه الكتابة فقال من واضعها مرار بن مرة فحدثت هذه الكتابة للعرب قيل الإسلام صحيح يؤيده حدوث آلات لم تكن لهم من قبل كالحطاب والشعر والبلاغة فإنها قريبة الميلاد من إقبال دولتهم وقد كانوا عبروا الدهر الطويل وهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون وكان لحمير كتابة يسمونها المسند منفصلة غير محصلة وكانت مباينة لكتابة العرب على حدة في اللغة السير بعيدة الدار من بلادهم في منقطع التراب على شاطئ البحر حيراناً للحشة والزنج وكانوا يحظرون تعليلها على العامة مع أنه كان لا يتعاطاها إلا من أذن له في تعلمها فلذلك دخلت دولة الإسلام وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب. . .

وجل كتابات الأمم من سكان الشرق والغرب اثنا عشرة كتابة وهي العربية والحمرية والفارسية والعبرانية واليونانية والرومية والقبطية والبربرية والأندلسية والهندية والصينية والسريانية. فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الإسلام وهي الحمرية والقبطية والهندية واليونانية والصينية وأربع مستعملات في بلاد الإسلام وهي العربية والفارسية والسريانية والعبرانية وأما العبرانية فنوع واحد لا تفتن وإنما تتغير بخصيص أقلامهم حال التجويد أو التعليق. وأما الفارسية فتسعة فنون على ما ذكر أبو جعفر محمد بن المؤيد المتوكلي فإنه زعم أن الفرس كان إمام ملكها مقر عن أصناف إيراداتها (كذا) سبع كتابات وهي برم دفيرد وكشته ودفيرد ونيم كشته دفيرد. وفروده دفيرد. وسف دفيرد. فمعنى الأولى الكتابة العامية والثانية الكتابة المغيرة والثالثة الكتابة المغيرة نصفها والرابعة كتابة الرسائل والخامسة كتابة السر وكانت كالترجمة والسادسة كتابة الدين وكان يكتب بها قرآنهم وكتب شرائع دينهم والسابع جامع الكتابات يشتمل على لغات الأمم من الروم والقبط والبربر والهند والصين والترك والنبط والعرب وكانت كتابة العامة من

بينها ترسم قلماً وعشرين قلماً لكل فلم منها اسم على حدة نحو ما يقال في الخط العربي خط التجاويد. وخط النحاس. وخط القراطيس. وخط التحرير وخط التعليق وكانت صناعة الكتابة ذات أسماء مختلفة تلزم فنون طبقات الأعمال وقد نسي أكثر أسمائها لكثرتها فقد كانت غير ذلك فدرست وصاروا يستعملون منها هذه الأنواع السبعة كما كانوا يستعملون في المحاطبات اللغات الخمس الفهلوية والدرية والفارسية والخورزية والسريانية. فالأولى كان بها كلام الملوك في مجالسهم وهي منسوبة إلى فهله الواقعة اسماً على خمسة بلدان وهي: أصبهان والري وهمدان وماد نادونند وآذربيجان والثانية لغة مدن المدائن وبها كان يتكلم من بباب الملك وهودر بالفارسية والغالب عليها من لغات أهل المشرق لغة أهل بلخ والثالثة كان يجري بها كلام الموابذة ومن ناسهم من كور بلاد فارس والرباعة منسوبة إلى خوزستان وكورها الثالث وبها كان يتكلم الأشراف في الخلوات كالتعري في الحمام والإيزن والمغتل والخامسة منسوبة إلى كور بلد سورستان أعني العراق والسريانيون هم النبط وبها كان كلام حاشية الملك عند التماس الحوائج وتشكي الظلامات وكان للفارس كتابة العصا حكاهما السلطاني وكانت ملوك الفرس تودعها الأسرار في مخاطبة خواصها وعمالها ولم يكن بخط ولا بأعداد ولا بما يجري مجراها وإنما كانت تعتمد إلى جلد أبيض فتقد منه سيراً طويلاً ثم تعتمد إلى عصي الفيج أو المكاري فتلف السير عليها وتضم حروف السير بعضها إلى بعض ثم تدعو بمسامير تركيبها عليها ثم تكتب فإذا انتهت الكتابة سلت تلك المسامير وكشف ذلك السير عن العصي فكان ما كان منها إلا نقط متفرقة ثم تلف السير وتجعل كالطبق ويقال للمكاري إذا نزلت متراً فضع طعامك عليه لتوهم أنه طبق طعامك فيكون هذا دأب الرسول إلى مبلغ المكتوب فتح يرد لف السير على العصي كما كان رسم بأن يجعل الثقب التي في السير تجاد الثقب

التي في العصي ويشك المسامير في الثقب ثم يضعها عند المكتوب إليه فهذه المتابة التي كانت إذا ضم بعضها إلى بعض أمكن قراءتها وإذا نشر زالت صورها وتعذرت قراءتها. وسئل أحمد بن علي المتوكل عنها فأخذ درجاً من كاعد فكسر منه شيئاً بورقتين وضم أثناءه بعضه إلى بعض ثم كتب عليه شيئاً يقرأ ثم نشره وسطه فصار في كل موضع من الورقتين كالعلامة والنقطة فهذا الذي أريد بقول الشاعر:

أي كتاب بالطي تعرفه ... وعندهم تين أحرفه

وأشر مما يزيل صورته ... وكتبنا كلها تخالفه. اه بحرفه

فأنت ترى من هذا المثال، طويل المقال، الواسع المجال، إن هذا الكتاب الجليل من أحسن ما صنّف في هذا القيل. ولا سيما أن الكاتب قد أحاط بكثير من الألفاظ التي لم يذكرها من سبقه إلى هذا الموضوع. بل ولم ينود عنها من جاء من بعده. ولهذا نتمنى أن يخرج هذا التصنيف القيمة إلى عالم المطبوعات. لينفع بها محبو اللغات. ويقف على بعض محتوياته ما لا يوجد في كثير من المصنفات. قيص الله أديباً فاضلاً يعني به. إنه عظيم كريم.

بغداد:

ساتسنا.

تقارير المجمع العلمي السنيوني

عن سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١

عودنا هذا المجمع أن يمتعنا كل عام بتقرير عن أعماله السنوية وذلك بكتاب ضخم يخص القسم الأكبر منه لنشر ما يظهر في عالم المطبوعات من الأبحاث والمحاضرات العلمية سواء ظهرت في أوروبا أو أميركا. وأمامنا الآن ثلاثة من هذه التقارير الأولى لسنة ١٩٠٩ وأهم ما فيه من الأبحاث بحث في مستقبل العلوم الرياضية وبحث فيما

إذا عجز المناطيد وآخر في تقدم الطبيعيات وآخر في مسألة التروجين من الوجهة الحربية وآخر في مذب هالي وعودته وآخر في طبقة الهواء العليا وآخر في البلورات وغيره في الصخور النارية وفي البراكين وفي حفظ الموارد الطبيعية وفي البعثة البريطانية إلى القطب الجنوبي وآخر في رسم بحر غرينلاند ورحلة في أفريقية من النيجر إلى النيل ومحاضرة في ماضي العراق وحاضره ومستقبله ألقاها السير ويليام ويلكوكس في الجمعية الجغرافية الإنكليزية. ومبحثان في النشوء الحيواني ومذهب دارون. وآخر في قدم الإنسان في أوروبا وآخر في نسبة العلم إلى حياة البشر وآخر في نسبة الحشرات إلى الأمراض وآخر في المقاومة الطبيعية للأمراض السارية وإسعافها وهذه الأبحاث كلها من أقلام نخبة رجال العلم في أوروبا وأميركا.

أما تقرير سنة ١٩١٠ فهو كالذي سبقه في الحجم والإتقان وإن كان أدق وألطف من الأول ورقاً وأهم موضوعاته: بحث في تزاويق البسط والسجاد وفي تقدم فن الطيران حديثاً وآخر بالانتفاع في الأراضي المقفرة في غربي الولايات المتحدة وآخر في القوة الكهربائية من نهر المسيسيبي وآخر وسائط التأمين في معامل الفولاذ في الولايات المتحدة وغيره في نقل الرسوم بواسطة التلغراف السلكي واللاسلكي والآراء الحديثة في تركيب المادة. التقدم الحديث في وسائط تجربة المفرعات. السكروسكوب. مسائل فلكية في المناطق الجنوبية. صلاح الأرض للحياة في المستقبل. حفظ الغابات. بحث في معرفة نوع الجنين وآخر في ريش النعام. نظرة من الوجهة الاقتصادية والجغرافية في الشعوب السلافية المعاصرة. وآخر في سكان الكهوف في العالم الجديد والقديم. حالة المزارع الصحية والسل وانتشاره.

ويحوي تقرير سنة ١٩١١ كغيره أبحاثاً مفيدة في الطبيعيات والفلك والحيوان والكيمياء وطبقات الأرض وحفظ الصحة إلى آخر ما نشر من الموضوعات الحديثة خلال تلك السنة.

وهذه التقارير في الجملة غاية في الإتقان والدقة مزدانة بالرسوم حسب ما تتطلبه الأبحاث والناظر إليها يشعر برقي هذا المعهد العلمي سنة عن سنة نفع الله العلم به وأكثر من أمثاله في العالم. وقبض لهذا الشرق العربي أناسا يخدمونه في الماديات ليخرجوا به من عالم الأدبيات والخطابيات.

أخبار وأفكار

إيطاليا والإسلام

قال لنا ذات يوم أحد علماء الشرقيات من الألمان أتدري السر الأعظم في غلبتنا الفرنسيين في حرب السبعين فذكرنا له ما حضرنا من الأسباب فقال: لا هذا ولا ذلك وإنما كنا معاشر الألمان عارفين بما عند جيراننا حتى المعرفة أما هم فكانوا يجهلون حقيقتنا ولذلك كتب النصر لنا.

ولقد حملت مجلة العالم الإسلامي الباريزية مبحثاً للمسيو أنطوان كاباتون من مستشرقى فرنسا تحت عنوان إيطاليا دولة إسلامية فآثرنا نقل لبابه إلى العربية ليعلم من لا يعلم أن كل أمة لا تعرف ما عند جارقتها تغلبها كما غلب الألمان الفرنسيين وأن التمجيد بالقديم وحده دون أن يكون لصاحبه شيء من دواعي الشرف الحقيقي الطريف مما يلقي بالأمم من قسم العز إلى دركات النذل وأن الشرق ينون أن يعد له قوة تعادل قوة الغرب يزدردده هذا ويقضي عليه سنة الله في خلقه. قال العالم الفرنسي:

إن معاهدة لوزان الخيرة التي اعترفت بامتلاك إيطاليا الفتاة لليبيا قد أدخلت إيطاليا في مصاف الدول الإسلامية فإن أثرت الحرب بين إيطاليا والعثمانية في المسألة العثمانية البلقانية كل التأثير فقد أثرت في مكانة إيطاليا ونفوذها ووجهتها السياسية والاقتصادية أيضاً. واعتبرت حملة طرابلس حادثاً جديداً لقصة قارة أفريقية بين الدول الأوروبية وعنواناً حديثاً لسلطان المدينة الغربية الطامعة القوية على الغفلة الشرقية.

وراحت إيطاليا مدفوعة بعوامل التذكارات الماضية وما أصابها من الفشل بين جارقتها ومنافساتها تريد الظهور في القبض على قيادة بلاد البحر المتوسط.

وما من حرب منذ سنة ١٨٥٩ وقعت موقع القبول عند الشعب الإيطالي مثل الحرب الأخيرة إذ تلقى الأمة الإيطالية بالهجة على اختلاف طبقاتها ومن النساء من أرسلن ثلاثة أولاد لا رابع لمن إلى ديار الحرب وخرجن بوعوهم ويقفن نتجبي الحرب فلفت الحملة في ذهابها وإيابها من ضروب الإكرام في بلادها شيئاً كثيراً ولا تسئل عن فرح القوم يوم شاهدوا أبناءهم عاندين يحملون شارة الاسعمار لبلاد ربنا كان أولادها في المستقبل جيش إيطاليا السود.

وحدث ما شئت أن تحدث عما صدر في إيطاليا من الكتب والرسائل والصحف في وصف طرابلس وبرقة وما إلى ذلك يوم نادى إيطاليا: هيا إلى الحرب وعصداً الصحف والحكومة على اختلاف صبغاتها في هذه الدعوة لا ليكون لإيطاليا مجد ومصرف اقتصادي فقط بل لتكون على قيد غلوة من بلادها أراض محصية يترها أبناءها الذين يكثرون كثرة زائدة ولذلك كانت إيطاليا تمجد بحماسة نماذجها سذاجة أقل حرس يعود من ليبيا وكيسه على ظهوره كما كانت تتألم لأقل نقد يأتيها من الخارج.

فالأسلوب العلمي العظيم الذي وفقت إليه إيطاليا لوضع الحرب أوزارها انتهى بتمجيد الأمة الإيطالية. بعثت إيطاليا مئة ألف مقاتل على أسطولها الفاره لتقضي كل القضاء على الأتراك والأعراب من لم يتيسر لحماسهم الدينية وجهم للاستقلال أن ينوباً مناب الأسلحة المنظمة والذخائر والجند والنظام.

اغتمطت إيطاليا بفتح طرابلس وبرقة وأثبتت أنها الوارثة الوحيدة لمملكة رومية التي كانت الحاكمة على العالم في القديم وحققت آمانيها منذ خابت يوم ضمت فرنسا تونس إليها سنة ١٨٨١ وانهمزت في الحبشة سنة ١٨٨٩ لأنها عادت فأصبحت مملكة مستعمرة بما فتحته من ليبيا التي فتحتها رومية منذ الزمن الطويل أيام كانت ضفاف البحر المتوسط للروح الإيطالية مهمازاً يحفرها كما كانت الآستانة مهمازاً للروح الصقلية السلافية.

ولقد طمحت إيطاليا في كل زمن إلى هذا الشاطئ من البحر المتوسط فحملت أولاً القوة والسلام الروماني ولما انحلت عرى هاتين المادتين تحت ضربات البرابرة عادت توجهه وجهها إلى تلك الوجهة أيضاً لا إلى الشمال فكان البحر المتوسط ميدان عمل جنوة وبيزا والبندقية وأمالفي وباري وسالرن ولم يقنع تجارها بأن يعتنوا بالتجارة بأقمشة الهند وفارس وجزيرة العرب وأفريقيتها وأباريزها بل أخذوا برزاقنة يؤيدون النفوذ اللاتيني في آسيا الصغرى ومصر والحبشة وكان من انتشار الإسلام وقوته في القرن الثامن أن ضربت هذه الفتوح التي تذكر بفتوح رومية أيام عظمتها ضربة شديدة فاحقر المسلمون إيطاليا على سمو مدارك أبناءها ومروفة أخلاقهم وأغاروا عليها فأدخلوا على قلوب أهلها الهول والفرع فكان الجلال عظيماً ولئن وفقت إيطاليا إلى طرد العرب من صقلية فإن نجاح مدنها الساحلية في الجنوب قد تراجع وظلت جنوة وبيزا متأثرتين وعادت البندقية فوجهت وجهتها إلى آسيا الصغرى.

وكان من الحروب الصليبية أن قُمّأت لإيطاليا أسباب الانتقام فهذه الغارات وإن كان باباوات رومية هم الذين أملتها عقولهم قد بذل فيها العنصر الإيطالي بما عرف به من الحمية الممزوجة بقليل من التبجح من حسن السياسة أكثر مما بذل من الشجاعة. فاقصر الإيطاليون في الحرب الصليبية على مرافقة جيوش أوربة إلى آسيا وينا كان ملوك الأمم الأخرى تقيم ممالك صغرى في الأرض المقدسة كان الإيطاليون يقطعون ثمرات تلك الحملات. وقد ثبت هذا الدهاء السياسي الإيطالي في الحملة الصليبية الرابعة فإنه أنتج لجنوة ويزا أن ربحتا كثيراً واستأثرت البندقية بتجارة آسيا الصغرى وامتلاك أراضي مخصصة على الشواطئ الشرقية من البحر المتوسط وجزء من الآستانة. ولما سقطت القسطنطينية على يد محمد الثاني سنة ١٤٥٣ حالت دون هذا السير النافع وهذا فإن البندقية مع ما أتته من عجائب المهارة وحسن المآتي بل بمجاهداتها العلني قد احتكرت جميع تجارة أوروبا مع الشرق.

وهذا الاحتكاك غير المنفصل تمت للبندقية على قوتها البحرية والتجارة معرفة الشعوب الإسلامية حتى المعرفة أكثر من كل أوروبا وكان من العادة الجارية مع طبقة التجار من أبناءها أن يتكلموا التركية والعربية ويألفوا بعض العادات والمصطلحات الشرقية ولكن جاءت قوة في القرون الثلاثة التالية أكثر من قوة البندقية على ما لها من الصلات التجارية مع العناصر الإسلامية فزادت عليها لأنها تطمع في امتلاك العالم ونعني بما الباباوية.

فإن كنية أحلام رومية استطاعت أن تمتد إلى الخارج ويكون لها مطلب أعلى من الرنج حتى أنها في عهد غارات الجرمانيين كانت تحلم أن تقبض ذات يوم على قياد الوحدة وحب الاستيلاء الذي سقط بسقوط دولة القياصرة فأحسن صلاحها مع المسيحيين بل ومع الوثنيين في الشرق ممن تطع في تصيرهم وأدركت كل الإدراك

الخطر الناشئ من امتداد كلمة الإسلام على أوروبا المسيحية. ومع أن الحملات الصليبية قد أخفقت وقوة الإيمان قد انثلمت في القانتين بها ما برحت كنيسة رومية إلى أوائل القرن السابع عشر تطالب بأعمال أخرى وفي هذا العهد كان العف أخذ ينال العثمانيين.

بيد أن رومية شعرت في الحرب الصليبية الثانية أن السيف وحده غير كافٍ في مثل هذا الجهاد ورأت أن تعارض التعصب الإسلامي بطوائف متمسكين في اتحادهم من عبوري الأوربيين أو الشرقيين لقطع أوصال المسلمين قطعاً أدبياً بعد أن أوقفتم عن سيرهم المادي. وما فتت رومية منذ القرن الثاني عشر والثالث عشر تحاول تصوير جميع الشعوب الآسيوية التي ظلت على وثيتها فبعت إلى بلاد المسكوب وفارس وأرمينية والتاتار والتبت ومغوليا والصين والأرخيل الهندي وفوداً من أهل الذكاء والحصافة ممن خلفوا لنا رحلتهم ومذكراتهم اليومية عهدت إليهم أن يسروا غور أمراء لينصروهم أو ليتحالفوا وإياهم ضد المسلمين على الأقل. وكان نصيب مصر والحبشة أيضاً البحث عن مثل هذا الشأن.

فلم تلبث الرهينات العظمى قد أنشئت مثل الدومنيكيين والفرنسيكانيين واليسوعيين والكوشيين والكرمليين واللعازريين ليكونوا جنداً مخلطاً في خدمة إمام الأبحار وتفتح تلك البلاد لدخول النصرانية إليها فأثبت جيش من الرهبان على اختلاف مظاهرهم في قاربي آسيا وأفريقية الشمالية لافتحها ونشر الإنجيل فيها ثم نشر المدنية الغربية فحبط القانتون بالأمر أولاً ولم يهتدوا لأحسن الطرق في العمل فأنهال الفرنسيكانيون والدومنيكيون يفادون بأرواحهم ويصرون على ضروب العذاب في سبيل دعوة الشعوب الإسلامية في أفريقية الشمالية إلى الدين المسيحي وكانت الطرق التي عمدوا إليها على تحمس فيها ممزوجة بكثير من الجهل فشعروا في

الحال أن الضرورة تقضي على من يريد دعوة أحد إلى دينه أن يتكلم بلغته على الأقل ليفاهم الداعي والمدعو فنادا القوم في كل مكان بضرورة إنشاء مدارس لتعليم اللغات كان رايخوند لول داعيتها الذي لم يبله تعب ولا نصب.

فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١ الذي كان يرأسه أكلفتس الخامس لأن يؤسس في باريز وأكسفورد وبولون ولسنكة دروساً عربية وعبرانية وكلدانية من شأنها تخريج وعاظ وأهل جدل أشد لتصير المسلمين واليهود وأنشأ القرنيسكانيون والدومينيكيون في ايدارهم دروساً من هذا القبيل ليعدوا رهبانهم لنشر الإنجيل ومنذ ذاك العهد أصبحت إيطاليا مهد حركة بالمشرفيات وأخذوا بنوع خاص يدرسون العبرية لفهم أسرار التوراة لتصير اليهود واللغة العربية لتصير المسلمين وكان أساتذة العبرية يتخرجون بأعلم العلماء الربانيين وأساتذة العبرية كانوا ممن رحلوا إلى البلاد اللغة التي أخذوا يدرسونها ويصحهم بصفة معيدين أناس من المسلمين أو من السوريين الموارنة ممن كانوا يعلمونهم العربية بالعمل ورأى هؤلاء القسس بحكم الضرورة أن يتقوا من اللغة العامية إلى الفصحى ليشدد ساعدتهم في فهم المسائل الفلسفية ورد حجج المخالفين بأسلوب فلسفي أدبي.

ومن أجل هذه الغاية اهتموا أيضاً بمصر والحبشة ومن مدارسهم نشأ العلماء الأول من الأقباط والحش والأبحريين ولكن دراسة اللغة العربية بقيت الحاكمة المتحكمة في شبه جزيرة إيطاليا فكان ينظر إلى تعلمها أنه من الحاجات الماسة لكل تجار المدن البحرية. فقد وضع أحدهم سنة ١٢٦٥ باللغة العربية كتاب المعاهدة التجارية بين تونس وجمهورية بيزا وظلت العربية مألوفة في عدة أماكن من إيطاليا الجنوبية عقب احتلال العرب صقلية فكانت في بلاط ملوك نورمانديا وهومانستوفين وفريدريك الثاني ودي منفروا لغة العلم العالي والشعر والأدب. وما كانت العربية على ما فيها

من الفصائد المقيمة المقعدة والعواطف المؤثرة لتحمل أمثال شارل داغو على تحمسه
لدينه أن يخاف عاديته بل كان الطباء والطبيعون في قصره إما من الإسرائيليين أو
من المسلمين المنحلين في عقاندهم وكان الطب هو الجواز التي سارت به الفلسفة
العربية عندما قام جيرارددي كرمون الشهير في أوائل القرن الثالث عشر في ظل دولة
فريدريك الثاني يترجم بعض كتابات ابن سينا الفيلسوف.

وفي القرن الثالث عشر ترجم المعلم موسى من أهل بلرمة من اللاتينية إلى العربية
كتاب أبقراط في أمراض الخيل فتسربت فلسفة ابن رشد من أمثال هذه الطرق ولم
تلبث أن صادفت قبولاً بين ناشئة إيطاليا حتى شكوا من ذلك جهاراً بترارك في القرن
الخامس عشر إذ رأى في تلقف فلسفة ابن رشد الإلحاد والازدراء باليونانية
واللاتينية. وكثير من العلماء والأدباء من غير طبقة الرهبان كانوا يرون في موجبات
الفخر في القرن التالي أن يعرفوا العربية سائرين على سنة يك دي لاميراندول.

وعلى توفر بعضهم على نشر كتب في الجدل مع المسلمين حتى قبل أن يترجم القرآن
ياحدى اللغات الغربية فإن عشاق العربية كانوا يرون من الحيلة ودواعي الغيرة أن
يمرنوا أنفسهم على ترجمة رسائل في الطب ينقلونها عن العربية إذ لم يكن أحد يجهل
مكانة العرب في هذا الفن وبذلك يرون أنهم يجنون من الاتهام بالزندقة وقد أصبح
أندري أريفان في البندقية حجة في هذا الباب وأنشأ هؤلاء المترجمون يدققون علاوة
على ذلك كل التدقيق فيما ينشرون فكان لهم أسلوب علمي حقيقي. ولما رأى
أندري مومكاجون بللون في القرن الخامس عشر لأن تراجم ابن سينا القديمة وأطباء
بلاط فريدريك الثاني ليس فيها عناية ذهب يحكم دراسة اللغة العربية في دمشق وأتم
تعلّمه الشرقي بالرحالة في مصر وسوريا وفارس وآسيا الصغرى رحلة طويلة وذلك
قبل أن يعود إلى كلية بادو ليشرح لتلامذته فلسفة ابن سينا. وقصد جيرولا

مورانوزيو أحد أطباء البندقية بلاد الشام أيضاً في سنة ١٤٨٣ ليبحر في فهم فلسفة ابن سينا ويعلق شروحاً على ترجمته عليها.

وكان من سقوط القسطنطينية وهجرة علماء من اليونان إلى إيطاليا وكثير من نصارى الشرق واختراع الطباعة وقيام الإصلاح أن هبت في أرجاء إيطاليا حركة النهضة العلمية التي تجلت في أحمل مظاهرها في الدروس الشرقية ولاسيما في دروس العربية والإسلام.

كانت الحركة في تعلم المشرقيات عامة وإفرادية معاً انتشرت كل الانتشار بفضل الكاردينال فريدريك دي مديسيس في فلورنسا والباباوات في رومية والكاردينال بورومة في ميلان والكاردينال بارباريكو في بادو ومن تقدمهم مثل باباغانيني الذي نشر في البندقية أول طبعة من القرآن باللغة العربية ولكن هذه الطبعة لم تلبث أن أيدت بغيرة دينية خرقاء وكان من الأسقف أغوستينو جويستياني المشغوف بالدروس الشرقية ولاسيما العربية والعبرية أن يقبل من فرنسيس الأول بتدريس اللغة العربية بعد أنصرف ثروته واقتناء مجموعة من المخطوطات المهمة في العبرية والعربية والكلدانية والرومية وكان تيزايواامبرو كيو فومس (كونت) ألبونز مستشرقاً مدققاً.

وهكذا كانت إيطاليا كلما أولع علمائها باللغة العربية وتشربوا روحها تميل كل الميل إلى الأقطار التي كان يتكلم فيها. وقد نشر أندريا أريفان من ماننو أول طبعة إيطالية من القرآن إن كل كل هذه الأعمال على جلالها لا تعد شيئاً في جانب إنشاء مطبعة أشر مديسيس المالكة والمطبعة الشرقية لبث الدعوة ومطبعة بادو وكليتها وإحداث مملكة أمبروز في ميلان وكل ذلك بغية تصير المسلمين والوثنيين. فقد طبعة مطبعة مديسيس ١٨ ألف نسخة من الإنجيل باللغة العربية سمته (أربعة أناجيل يسوع المسيح

سيدنا المقدسة) وأرسلتها مع تجار لتباع ثم بحس في البلاد العربية أو التي تفهم بها العربية على صورة حازمة لا يظهر منها القصد الذي يرمي إليه دعاة الدين.

وكانت النية معقودة قبل كل شيء على إعلان حرب صليبية جديدة روحية على الإسلام يدخل إليها بالوسائل العلمية وعني البانوات الأدباء أمثال ليون العاشر أو إكلنتيس السابع عناية خاصة بتأسيس خزائن كتب من المخطوطات تسلب من المسلمين الأعداء القدماء لتكون بذلك مجموعات نفيسة في دار كتب الفاتيكان أما غريغوريوس الثالث عشر فكان لا يرى أحسن في النجاح من تصير الناس وإبادتهم وأنشأ يوليوس الثاني في مدينة فانو على بحر الإدرياتيك أول مطبعة عربية احتفل ليون العشر بافتتاحها سنة ١٥١٤ بنشرها أول كتاب طبع بحروف عربية وهو كتاب صلاة السواعي. وكان في رومية مطبعة حجرية شرقية أنشأها سافري دي بريف الذي ظل سنين طويلة سفيراً لملك فرنسا في القطنطية وهو نفسه الذي حفر أمهات الحروف العربية التي نقلت عنها مطبعة الأمة في باريز أشكالها. ونشر منذ سنة ١٦١٣ كتاب التعليم المسيحي.

وظل الكاردينال فرديناند دي ميديسيس متمماً لذوق أسرته في حب المعارف الشرقية فابتاع مخطوطات شرقية باسم البابا وكان يدير بطريركية أنطاكية والإسكندرية ومحاكمة الحيشة إدارة روحية وأنشأ على نفقته مطبعة ميديسيس وولى عليها ريموندي الذي ولد سنة ١٥٣٦ في نابولي وهي أكثر البلاد التي كانت العربية منتشرة فيها. فكان باللغات الشرقية التي كان يتقنها ولاسيما العربية قدوة الداعين إلى تعلم المشرقيات ونشر بالعربية كتاب نحو وكتاب ابن سينا وغيرها فكانت مطبوعاته بحسن طبعها ووضعها موضوع الإعجاب العام وبعض أن قضى ريموندي

نحية لم تعد أسرة ميديسيس تفكر في إعلان الحرب الروحية على المسلمين بواسطة الكتب بل عمدت إلى إحداث الاضطرابات العملية.

ولم تشأ رومية أن تكون في خدمة المعارف الشرقية بالمطابع والمكاتب والمدارس دون أسرة ميديسيس في بث هذه الدعوة لتشر بها الدعوة للإسلام فقد صارت بفضل الباباوات ميدان درس ونشر كل ما يرقى عقول القيسين الذين نتدبهم رومية لفتح العالم فتحاً روحياً يتخرجون في المدارس ما أمكن بلسان البلاد وعاداتها ومعتقداتها التي يريدون بث دعوتهم فيها ودار الكتب تنضم لهم هذه المعلومات فيعشرون فيها على ما سطره أسلافهم في رحلاتهم إلى البلاد التي عنوا بتنصير أهلها وما تلقفوه من معتقداتهم وعاداتهم ولهجاتهم وصناعاتهم ويقضى على كل قسيس أن يكتب مقامه في القاصية كتابة أو رسالة تخدم هذا الغرض. ومطبعة بث الدعوة تنشر كل ما يؤلف من هذا القبيل وترجم إلى لغات شرقية كثيرة الكتب المسيحية والردود على الإسلام وكان للغة العربية الشأن الأول من بين هذه اللغات التي تطبع فيها المطبعة وهي عشرون لغة شرقية.

وما كان القصد من هذه العناية إلا دينياً محضاً بادئ بدء ولم يكن العلم الشرقي إلا واسطة تساعد على علم الجدل وكذلك اللغة العربية لم تكون إلا سلاحاً تقايل به الإسلام ولذلك كانت المدرسة الإكليريكية الشرقية في بادو لا ترى غضاضة عليها أن تشتغل بالعلم المجرد أحياناً للأثر الذي يحدث عنه وكانت المطبعة والمكاتب الشرقية من الخيمات لتك المدرسة لدهاها بفضل الشهرة وتأثيرها في الأفكار.

وقد تخرج بالأستاذين ماراسي وأعايتو عد تلاميذ باللغة العربية فصنفوا فيها وأفادوا وتعاقب اثنان من الكرادلة على أبرشية بادو كان ل منهما يتنافس في عصره في خدمة الدروس الشرقية. وهكذا كان شأن ميلان فإن فريدريك برورومة بث فيها روح

العلوم الشرقية وبعث منذ سنة ١٦٠٩ إلى الشرق يتناح بالأثمان الباهظة كتباً ومخطوطات شرقية فأسس المكتبة الأمبروزية الشهيرة ولم يكثر تلامذة المدرسة التي أسسها لهذا الغرض بل كانوا قلائل امتازوا بإحصانهم وكان ثمة أستاذة خاصة من مسيحي الشرق أو المسلمين الملحدين ولطالما عطف عليهم ونشطهم وتخرج في مدرسة امبرواز أنطونيو جيبي باللغة العربية فكان لها مجداً أثيلاً.

عد القرنان السادس عشر والسابع عشر عصر ازدهار الدروس الشرقية ولاسيما الدروس العربية في إيطاليا أما القرن الثامن عشر فكوان عصر الانحطاط التام إذ قلت فيه حتى الغيرة الدينية والحماسة العقلية ولم ينشأ فيه سوى الكاردينال ميزوفانتي اخارقة في إتقان اللغات المنوعة فكان مفخراً للعلم الإيطالي وقد تقاسم جمهور الشعب أقبال وملوك متوسطون صار معهم إلى الشقاء والعبودية أما الطبقة العالية فقد حرمت من الاشتراك في إدارة شؤون بلادها ينهكها الاستجداد المدقق أو اضطهاد النمسا الشديد فتسيت في لذائذها المادية حريتها وعلو منزلتها العقلية.

وفي سنة ١٧٩٠ احترقت مطبعة ميديسي ثم أعيد إنشاؤها وبعد أن تقلب عليها الأحوال ونقلت إلى باريز بأمر الإمبراطور نابليون أعيدت إلى إيطاليا وفيها طبع أعظم مستشرقين الطليان أمثال أماري وسيكابارللي وكويدي كتبهم وما نشرود عن آثار العرب. ولما فتح نابليون مصر وأعلن أنه يراعي للمسلمين معتقداتهم وحقوفهم وأنه لا أرب له إلا قتال المماليك أحلاف إنكلترا رأى أن يستولي على قلوب المصريين فظهر لهم بمظهر الحياد وحسن الخدمة وبعث يجلب مطبعة لبث الدعوة الشرقية من إيطاليا فأنته إلى مصر واخذ بما يطبع الكتب خدمة للسياسة والتجارة.

فأصبحت من ثم المطابع الشرقية في إيطاليا بضربات السياسة والحوادث وبقيت المدرسة الإكلركية وخزان كتبها في معزل وعلى ما عرف به المستشرق العالم بالعربية

أسياني من سعة الفضل فإنه من لم يتيسر لبلاده أن تعيد الحياة للمشرقيات بعد انطفأت جذوقها بالفتن والكوائن وانقراض بيت ميديسيس. ونشأ للعربية أستاذ في القرن الثامن وهو القس فللا درس في كلية بلرمة ونشر بعض الكتب ولكن القرن التاسع عش امتاز بآدابه كما امتاز بالحياة في إيطاليا التي هبت قوة حرة وراحت ترفرف نحو كل ما كان فيه مجد ما أيام تاريخها المجيد فأزهرت فيه الدروس الشرقية ولاسيما الدروس العربية والعلوم الإسلامية. فكانت الولايات الجنوبية في إيطاليا تخرج أبطالاً في المشرقيات أمثال المؤرخ والسياسي ميشيل أماري الذي نشر أحسن تاريخ للسليين في صقلية وكثير من الكتب التي تدل على فضل علمه وتدقيقه. ودروس العربية في كليتي فلورنسا وبيزا ونشأ معه الأستاذ سيكا بارللي مدرس العربية في فلورنسا ثم بونازيا مدرسة كلية نابولي وأغناس كويدي الذي هو اليوم أحد زعماء المجليين من علماء المشرقيات من الطليان وهكذا نشأ لإيطاليا أجلة من المتجرين في علوم الشرق ولغاته وأمراء بفضلون على العلماء في طبع ما يلزم ونشرد.

وكان امتياز إيطاليا قديماً في نشر المعارف في كل البلاد فأصبحت كذلك في عهد وحدتها تريد أن اجعل لكل إقليم حظاً من هذه الخدمة ولتلبث صعوبة الحياة الحديثة والأطماع القديمة التي يظهر أنها اليوم العامل في حياة الممالك الأوربية أن تحدو إيطاليا السياسية إلى الانتفاع من هذه المعارف النظرية انتفاعاً عملياً.

ولما تمت لإيطاليا وحدتها لم ترى لها نصيباً في المغام في أرض أوربا فوجهت وجهتها منذ ثلاثين سنة إلى أن تضع يدها على ما لم يكتب له الاستعمار الأوربي من حوض المتوسط فرأت أولاً أن تبعث بالفقراء من أبنائها في صقلية وسردينيا إلى تونس إذ قد رأت فرنسا قبضت على قياد الجزائر وإسبانيا على الريف وإنكلترا على مصر ولكن سرعان ما أخفقت أحلامها بإعلان فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ فبقيت

أمامها طرابلس الغرب ولكن لم تجرأ أن تحلم بها ولذلك أبعدت في أطباعها بادئ بدء فأرادت الاستئثار ببلاد الشاطئ الشرقي من أفريقية فكان فيها مراسلوها وعلمائها دعاة لما تريد إيطاليا القيام به.

وإذا كانت مصر على قربها من إيطاليا وغناها وعراقتها في الإسلام مما يكون الخطر كانت هي أول غاية انصرفت إليها كهنة الطليان وتجارهم وكانت إيطاليا منذ القرن السادس عشر مركزاً لتعليم الآداب القبطية وقد أنشأت تعلم علم الآثار المصرية القبطية في بيزا لتثبت بذلك أنها لا تريد أن تكون غريبة عن علم كانت لها القدم الراسخة قديماً في الإبداع فيه وكانت للغة الحبشية المقام الأول في إيطاليا لأنها رأها أقرب إلى بث الدعوة في نساطرة الحبش وإن التجارة تمكن ودن أن يصطلم الإيطالي مع الإسلام الذي لا يتساهل.

وفي أوائل القرن التاسع عشر أنشأت إيطاليا مجعماً ومدرسة لتنصير الأفريقيين وتعلم دعاة لهذا الغرض تأخذهم من أبناء تلك البلاد وتربيهم ليعودوا إلى مسقط رؤوسهم يحيون فيها روح دينهم الجديدة لكن هذا العمل في التنصير أخفق لما حال أمامه في كل مكان من بث دعوة الإسلام ونشر الدعوة البرتسانتية فاقصرت إيطاليا من ثم على غرس نفوذها في تلك البلاد وإعداد الأسباب للمطامع الاستعمارية.

فكانت سياسة إيطاليا حازمة محتشمة أولاً ففي سنة ١٨٦٩ عندما فتحت ترعة السويس ابتاعت شركة الملاحة الإيطالية روياتينو من زعيمين مستقلين مرفأ أساب بالقرب من جزيرة بريم على الشاطئ الأفريقي من البحر الأحمر فجعلته محطة ل سفنها الذاهبة إلى الشرق الأقصى ولما خاب ظن إيطاليا في الاستيلاء على تونس ابتاعت من هذه الشركة سنة ١٨٨٢ جميع ما تملكه في تلك الرجاء بمبلغ ٤١٠ آلاف فرنك فكلفتها كثيراً وأرسلت حملة لتأديب قبائلها انجاورة مثل الدناكل والصومال من

المسلمين فذبحوا لها رجالها سنة ١٨٩٤ وعادت فبعثت بحملة إلى مصوع وبعثت
إنكلترا جيشاً إلى البحر الأحمر للدفاع عن سواكن ومصوع من عصاة السودان
واقترحت على إيطاليا أن تكون الحملة مشتركة على أن تكون مصوع لإيطاليا ويحق
لها بسط سلطانه على الحبشة فبادرت إلى احتلال مصوع وتيسر لإيطاليا بأعمال
حربية قليلة أن تضم أرضهما إلى أرض أساب.

ولكن بسط حمايتها على الحبشة نشأت عنه كارثة غير متوقعة وذلك أن جيوشها ما
كادت تصل إلى البحر الأحمر حتى تحالف أمراء الحبشة وجعلوا نجاشيم جوهانس
إمبراطوراً عليهم فقتل هذا حملة للطلبان مؤلفة من ستمائة شخص عن بكرة أبيها سنة
١٨٨٧ فأرسلت إيطاليا عشرين ألف رجل فلم يكادوا يزلون إلى البر حتى فيهم
الجوع والحصار ودهمهم ثمانون ألفاً من الحبشان فافترمت إيطاليا شر هزيمة في ساكنتي
(١٨٨٨) ثم استمالت إليها النجاشي منليك واعدة إياه بأن يكون هو إمبراطور
الحبشة دون جوهانس ولكنه لم يتغرر بأمانها بل رد الإيطاليين رد الأبطال عن حياض
داره فذبح سنة ١٨٩٥ أناس من المستعمرين الإيطاليين في أمبالاكاخي وبعد بضعة
أشهر سحق الحبشة لإيطاليا جيشاً مؤلفاً من خمسة وسبعين ألف إيطالي في أدوا
فاضحلت آمال الإيطاليين بعد ذلك وقعت بما ترك لها من المواني هناك وراح
أبناؤها ينتشرون في تونس ومصر وعلماء المشرقيات من المتضلعين من العربية من
أبنائها يرفعون شأنها الماضي كفي الحضارة وتقاليدها القديمة في النصرانية.

واتفق أحد رجال البيت الحديوي الأمير أحمد فؤاد باشا تعلم في أجمع العلمي في
تورينو فكان منه بعد ذلك أن عقد أنفع الصلات مع إيطاليا كما بدأ ذلك منه سنة
١٩٠٨ وقد عين رئيساً للجامعة المصرية لتعلم العلوم الحديثة للصريين ونظم
الجامعة بمشورة عالم فرنساوي مشهور المسيو مسور وكانت أكثر الدروس تلقى

بالعربية فكان من الأساتذة كويدي ونالينو ومالو الإيطاليين الذين درسوا الدروس التي عهدت إليهم بالعربية.

ومنذ ذام العهد مالت الأفكار في إيطاليا إلى طرابلس الغرب لتكون لها أهراء حنطة كما كانت للرومان قديماً وذلك لأن صرف المال وبذل الوقت والعناية بزراعتها سيكون منها مورد ربح عظيم وتجد فيها اليد العاملة من الطليان مجالاً واسعاً للاستعمار فرأت إيطاليا أن يكون الفتح الاستعماري مشفوعاً بالرفق والرحمة والتساهل في معاملة الشعوب الإسلامية وأن يكون أساس الاستعمار في تلك الأقطار المصالح الاقتصادية وأن تدار البلاد بأيدي أعظم رجل الإدارة ممن تعلم منهم وزارات الأوربية دروساً في الاستعمار.

واخذت إيطاليا بتنظيم كلية بادو التي كانت اتخذتاً جمهورية البندقية منذ قرنين مدرسة لتخريج رجال سياستها وتراجعتها وسماستها تدرس فيها اللغة العربية والفارسية والتركية ولاسيما العربية وسعى هذه المرة بالعربية أكثر ليكون من متخرجيها أعظم الإداريين المسعمرين لليبيا وتضاف إلى دروسها اللهجات البلقانية المنوعة ممن تتجر معهم البندقية وإيطاليا. ولجنة درس عربي طالما تناوب تدريسه أعظم مستشرقها وهي اليوم تطالب بأن يكون لها امتياز بتخريج رجال الإدارة والاستعمار بإنشاء كلية بحرية استعمارية فيها وكذلك سيكون لكلية بولون أثر عظيم في تخريج رجال بالعربية كما منهم حظ ليس بقليل الآن. وفي رومية في مدرسة الدعوة إلى الإيمان درسان للعربية والسريانية وكذلك مدرسة القديس أبولينير فإن درس العربية يدرسه فيها الأسقف بوغاريني وتفتخر الحكومة اللادينية في رومية بأن فيها درساً للغة العربية وآدابها بزعامة الأستاذ سكياباريللي والحشية تحت نظارة كويدي. وفي جنوب شبه جزيرة إيطاليا المملوءة بتذكارات إسلامية والقريب من

حيث الوضع الجغرافي من بلاد المسلمين كلية بلرمة التي تدرس العربية فيها كل من الأستاذين ناينو وبوبونازا واقتصرت نابولي على تعليم العربية بالعمل كما تعلمها بالنظر أيضاً. وفي نابولي مجمع شرقي يعلم بالعمل اللغات الحية في آسية وأفريقية وفيه تلامذة صينيون وهنود وبلغار يون وصربيون وفلاحيون وألبانيون ويونان. وفي سنة ١٩٠١ عيد تنظيم هذا المجمع على مثال مدرسة اللغات الشرقية في باريز وعتاز بأن دروسه مجانية ولا يمتحن الطلاب فيه.

لا جرم أن فتح طرابلس سيزيد في نجاح هذه المدرسة فيكون لإيطاليا الحظ بأن تكون دولة تحيا فيها المدنية الشرقية في البحر المتوسط على ما يبدو الآن لأعين الشعوب الإسلامية النازلة في البحر المتوسط من أن هذه الدولة حديثة العهد بنفوذها بما ترسله من فقراء المسحمرين والعاملين القادرين على منافسة اليد العاملة الوطنية. اهـ.

كليات ألمانيا الكليات أو الجامعات أو دور الفنون في ألمانيا هي المدارس العالية المحتوية على الفروع الآتية: الأولى شعبة الإلهيات، الثانية شعبة الحقوق، الثالثة شعبة الطب، الرابعة شعبة الفلسفة (وهذه أربع فروع، (١) الفلسفة المجردة وعلم التربية والمنطق (٢) علم الألسن والأدبيات (٣) التاريخ والجغرافيا وتاريخ الصنائع والموسيقى (٤) السياسات وعلم الاقتصاد) الخامسة شعبة الرياضيات والطبيعات (وهي الرياضيات وعلم الفلك والحكمة الطبيعية والكيمياء والحيوانات والنباتات وطبقات الأرض). فعدد كليات ألمانيا اثنتان وعشرون. نصفها في بروسيا ونصفها في سائر الحكومات المتحدة وهاك أسماء الموجودة بما مع تاريخ تاسيسها وعدد طلابها السنة التدريسية الشتائية من سنة ١٩١١.

تاريخ التأسيس عدد الطلاب الكليات

١٩٠٨ ١٤٥٤٣ ١٤٥٤٣ (بروسيا)

- ١٤٧٢ ٠٧٥٩٦ ميونخ (بافيرا)
- ١٤٠٩ ٠٥٨٠٤ ليسيك (سكونيا)
- ١٨١٨ ٠١٤٠٧ بون (بروسيا)
- ١٥٠٢ ٠٢٨١١ هاله (بروسيا)
- ١٥٦٧ ٠٢٥٠٦ استراسبورغ (الزاس ولورين)
- ١٧٠٢ ٠٢٤٢٩ برسالو (بروسيا)
- ١٤٥٧ ٠٢٣٨٧ فرايبورغ (بادن)
- ١٧٣٧ ٠٢٣٥٥ غوتغن (بروسيا)
- ١٧٧١ ٠٢٢٩٦ مونستر (بروسيا)
- ١٣٨٦ ٠٢١٨١ هايدلبرغ (بادن)
- ١٥٢٧ ٠١٩٣٦ ماربورغ (بروسيا)
- ١٤٧٧ ٠١٩١٣ توينكن ورتمبرغ
- ١٥٥٨ ٠١٧٥٣ يينا ساكس وايمار
- ١٥٤٤ ٠١٦١٤ كفسبرغ بروسيا
- ١٦٦٥ ٠١٥٧٠ كيل بروسيا
- ١٤٠٢ ٠١٥٠٩ ورتسبورغ بافيرا
- ١٦٠٧ ٠١٤٠٩ كيش هس
- ١٧٤٣ ٠١٠٩٩ ارلانكن بافيرا
- ١٤٥٦ ٠١٠٣٤ كرايغسوالد بروسيا
- ١٤١٩ ٠٠٩٠٣ روشتوك مكلمبرغ
- ١٩١٣ جديدة فرانكفورت غلي ماين بروسيا

٦٣٧٥٥ المجموع

ومن هذا المجموع ٥٠٠٠٠ طالبة تقريباً. وعدا ذلك فإن في غالب المدن مدارس عالية علمية، هندسية، زراعية، صناعية، تجارية، حربية ومراصد فلك ودور معلمين ومعلمات.

الحنطة في فرنسا

قالت الماتين: إن أكثر الأمم مقطوعة للحنطة هي الأمة الفرنسية ثم آيدت فولها بالإحصاء التالي وهو إحصاء سنة ١٩٠٩ الذي يمكن اعتباره كمتوسط كمية الحنطة التي تناولتها مقطوعة ١٩٠٩.

مقطوعيتها (ألف قنطار) المقطوعة الفردية

فرنسا ٩٨٤٣٢٢٢٠٥

ألمانيا ٥٧٦١٣٠٩

النمسا والمجر ٥٧١٢٠١

إسبانيا ٤٠١٦٧٢٤٠١

الجزر البريطانية ٧٣٩٤٤١٧٣٩٤٤١

إيطاليا ٦٤٤٤٨١٦٤٤٤٨١

روسيا (أوروبا وآسيا) ١٧٨٤٠٠١

الولايات المتحدة ١٤٩٠٠٥١٤٩٠٠٥١

فيتين مما تقدم أن المقطوعة الشخصية هي في فرنسا أكثر منها في سواها. وإن في الإشاعات المتداولة على ألسنة الناس في الخارج أو الفرنسيين يكثرون في أكل الحنطة والصفادح شيئاً صحيحاً أي أن قسبي الخبز صحيح أما الثاني فخرافة.

ثم إذا اعتبرت المقطوعة من الوجهة العامة كان الفرنسيون بعد روسيا الشاسعة الأطراف والولايات المتحدة في طليعة سائر الأمم في المقطوعة. وإن في الجدول الآنف دلالة على مقطوعة كل شعب من الحنطة. بقي أن نعرف كيف تتحوط كل أمة لإملاء أهرائها التي تفرغ في كل عام. على أنه لا بد من التمييز بين البلاد التي تزيد مقطوعيتها من الحنطة عن حاصلاتها والتي تزيد حاصلاتها الخاصة عن مقطوعيتها فمن الفئة الأولى.

حاصلاتها (ألف قنطار) الفرق

ألمانيا ٣٧٥٥٧٢.٠٥٦

النسبا والمجر ٤٩٩٣٦٧١٨٤

حاصلاتها (ألف قنطار) الفرق

إنكلترا ١٧٤٨٦٥٦٤٥٨١

إيطاليا ٥١٨١٣١٢٦٣٥

فأعظم البلاد استيراداً للحنطة هي إنكلترا ثم ألمانيا حليفتها. أما فرنسا وإسبانيا فإن محصولهما من الحنطة يعادل على نوع ما مقطوعيتهما وبيان ذلك.

حاصلاتها قنطار الفرق

فرنسا ٩٧٧٥٢٦٨٠

إسبانيا ٣٩٢١٩٩٤٨

أما البلاد التي تزيد حاصلاتها عن مقطوعيتها فروسيا وحدها في أوروبا ثم رومانيا. أما البلاد الأخرى فكلها واقعة وراء البحار وبيان ذلك.

المقطوعة الحاصلات

روسيا ٢٣٠٢٨٨ ١٧٨٤٠٠

رومانيا ٧٠٤٠١٦٠٢٢

الولايات المتحدة ١٤٩٠٠٥ ١٨٥٩٨٠

كندا ٤٥٣١٨٣٠٠٥١

الهند الإنكليزية ٧٧٦١٦ ٦٦٤٨٧

أستراليا ٢٤٦٠٧ ١٤١٣٧

الأرجنتين ٨٨٤٨٣٥٦٥٥

ولهذه الأرقام من الوجهة السياسية مكانة عظمى فالجزر البريطانية تستطيع أن تستمد من معمراتها ثلاثة أرباع ما ينقصها لقطوعيتها. وإن ما نقوله هنا عن الخطة ليصح أيضاً في اللحوم وسائر الخرب الغذائية. فالقوة البحرية الإنكليزية الضخمة تضمن ورود الأقوات عليها بانتظام وهي مسألة حيوية بالنسبة إليها لأنه إذا استطاع العدو أن يمنع عنها القوات اللازمة هلكت بالمجاعة. ومثل ذلك يقال في دول التحالف الثلاثي فهي لا قوام لها بدون وصول المونة اللازمة لها من الخارج. وأهم البلاد التي ^{يسو} رد منها روسيا وهي عدوتها. فإذا أمسكت عنها الخنطة في إبان الحرب وكانت لها (أي روسية) بحرية قوية هلكت أمم التحالف الثلاثي جنوعاً. وإن هذه الجاة حاجة استيراد المون من الخارج لتريد عاماً فعام بسبب ازدياد الناس في أوروبا في الآونة الأخيرة وتجد البرهان على ذلك المقارنة التالية:

الكمية المستوردة (ألف قنطار)

١٩٠٩ ١٨٨١

ألمانيا ٢٠٥٦ ٣٠٨٥

النمسا وانجر ٤١٣٧١٨٤

إنكلترا ٥٦٤٥٨ ٣٥٥٢٠

إيطاليا ٤٨٥١٢٦٠٥

أما فرنسا التي كانت ما فقط تستورد كميات كبيرة فقد استوردت في سنة ١٨٨١ اثني عشر مليوناً و ٨٦٤ ألف قطار أي أكثر مما استوردته دول التحالف الثلاثي بثلاث مرات. وسبب ذلك أن سكان ألمانيا كانوا في ذلك العهد ٤٤ مليوناً مقابل ٦٤ مليوناً في ١٩٠٩ و ٦٧ مليوناً اليوم. وكانت النمسا ٣٨ مليوناً وهي اليوم ٥٣ مليوناً. وإن ازدياد عدد السكان في أوروبا كلها ليضطرها أن تستورد حاجتها من الحنطة من الخارج. وهذا الاضطرار يقضي بوجوب الاعتماد على عمارة تجارية كبيرة وأسطول حربي ضخم. اهـ.

أموال الفرنسيين

لفرنسا وحدها في القروض التي عقدتها الدولة منذ سنة ١٨٨٥ إلى الآن مبلغ ٨٤٦ مليون فرنك يضاف إليها ما لها من الأموال في المشاريع الآتية:

مليون فرنك

في البنك العثماني ٦٣

سكة حديد أزميز ٧١

القدس ويافا ١٨

دمشق حماة ١٢١

سلايك ١٢٧

معدن هركلي ٢٩

مرفأ أزميز ١١

بيروت ١٤

الآستانة ٣٧

مياه الآستانة ١٧

شركة حصر الدخان ١٦

يكون المجموع ملياراً و ٣٧٠ مليون فرنك يضاف إليها الديون غير المنتظمة وهي:
فرنك

الديون الموحدة العثمانية ٨٣ . ٦٠٠ . ٠٠٠

تحويلات الروملي ١١ . ٤٠٠ . ٠٠٠

ديون أخرى ٧٥ . ٠٠٠ . ٠٠٠

سلفات متفرقة ٧ . ٠٠٠ . ٠٠٠

١٥ / ٢٠ ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

١٠٠

هذا عدا عن الأموال المستمرة في بعض المشاريع الثانوية وهي كثيرة أيضاً فإذا أضفنا إليها سائر الديون العثمانية بلغ المجموع نحو ثلاثة مليارات من الفرنكات تزيد فائدتها ٢٥ في المئة من مجموع دخل الدولة ويضاف إلى ذلك القرض الأخير وهو ٧٠٠ مليون فرنك.

طلابنا في فرنسا

العالم أن معظم من يدرسون العلوم من أبناء العثمانيين في كليات أوروبا يتولون ويختارون من كلياتها كلية باريز وكلية ليون فكرونو بل فمونتليه فنانسي ثم يكون من طلبتنا أناس في كليات ألمانيا فإنكترا فالنسا.

وقد ذكرت الطان إحصاء في عدد طلاب الكليات في فرنسا جاء فيه أن عدد طلاب الكليات في فرنسا ٤١١٠٩ طالب وطالبة منها ٤٠٥٦ من الفتيان والباقيون ذكور أي نحو عشر الداخلين في المدارس الجامعة هن من الجنس اللطيف وبلغ عدد الأجانب

من الطلبة ٣٨١٩ أي نحو عشرة في المئة من مجموع الطلبة و٤٠٥٦ طالبة فيكون مجموع الطالبين والطالبات من غير الفرنسيين في كليات فرنسا ٧٨٧٥ من أصل ١٠٩٠٤١.

واكثر الطلبة الأجانب يدرسون الحقوق ويأتون من الشرق فقد بلغ عدد طلاب رومانيا ٢٥٧ والروس ٢٤٣ والمصريين ١٦٣ والعثمانيين ١٢٤ أي نحو ثلثي عدد الأجانب ثم ٨٣ بلغاريا و٣٦ ألمانيا و٢٨ يونانيا و٢٧ صربيا و٢٥ نمونيا ومجريا و٣٣ لوكسبرغيا و٢١ أميركانيا جنوبيا و١٧ سويسريا وثلاثة الطلبة الأجانب في الطب هم من الروس الذين يبلغ عدد أبنائهم ٨٦١ ثم يجيء العثمانيون وعددهم ٨٧ والبلغار ٦٧ والرومان ٥٩ واليونان ٣٩ والذين يدرسون العلوم من الروس ٩٥٠ ومن العثمانيين ٧٠ أما عدد الدارسين في الآداب فهم ٧٠٩ من الروس و٢٣٣ من الألمان و١٤١ من الإنكليز و٧٠ من الطليان فيكون مجموع الطلبة الأجانب في كليات فرنسا كما يلي: ٢٧٦٩ روسيا ٤٠٨ رومانيا و٣٢٣ عثمانيا و٢٨٩ ألمانيا و٢٣٣ بلغاريا و٢١٤ مصريا و١٩٠ إنونكليزيا و١٥٤ نمونيا ومجريا و١٣٠ إيطاليا و١٠٦ من الولايات المتحدة و١٠٦ من اليونان و٦٨ سويسريا و٨١ من أميركا الجنوبية و٥٢ صربيا و٥٢ أفريقيا و٤٧ لوكسبرغيا و٤٠ إسبانيا و٣٦ من الإلتراس واللورين و٣١ سويديا ونروجيا و٢٧ بلجيكيا و٣٦ من أميركا الوسطى و٢٥ إيرانيا و٢٣ برازيليا و١٩ برتغاليا.

قريبة النساء

بيننا نحن مع قومنا في أول درجة من سلم الارتقاء ولما لم نضعدها إذا بنساء الغرب قد بلغن شوطاً في العلم لا يكاد يصدقه شرقي فقد ثابن الرجال في العلم والتهديب حتى كدن يفضهم وبالغن في إفاض بنات جنسهن حتى تطاولن في بعض الممالك إلى

المطالبة بإشراكهن في الحياة السياسية فنل في فنلندة ونروج وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية ما أملن في هذا الشأن ولا يمتض زمن طويل حتى ينال نساء بريطانيا العظمى حقوقهن في الانتخاب كما نال سكان تلك الممالك الأربعة المذكورة وهن يحاولن في فرنسا أن يكاترن الرجال في انجاميع العلمية فيكون منهن أعضاء في اكبر مجالس العلم في باريز وعمالاتها.

وان الباحث ليميل إذا أراد نقل بعض ما يكتب النساء الغربيات من المقالات والأبحاث ويلقن من محاضرات والخطب في هذا الشأن وفيهن مدبرة المدرسة العالية والمحامية والصحفية والطبية والعالة بالطبيعة والفلك والكيمياء والهندسة والمعلمة وآخر ما فر عليه فرارات العالمات من النساء في إنكلترا أن بين الرجل والمرأة اختلافاً أساسياً هو في المرأة بالنسبة للرجل صعوبة الحياة وطولها وطول سلسلة مصائبها وقوتها على مقاومة الأم راض وندرة نبوغها وبعض ما اختصت به من العاهات كالجنون والجرائم. وهن يحاولن هناك أن تربي المرأة تربية تتأهل بها للكعب وتصير صالحة للقيام بوظيفة الأمومة على ما يجب.

قال إميل فاكي: كانت المرأة لأول عهدهما دابة ثم حيواناً داخناً ثم رقيقة ثم خادمة ثم قاصرة ثم هاهي اليوم تحاول أن تثبت رشدها وتسجله في سجلات القانون. ولقد صح أن النساء النبيلات وبنات الطبقة الثانية في الناس ككن في القرون الوسطى يشاركن في الحياة البلدية ويدخلن المجالس فقد قادت جان دارك الجيوش وأرسلت كاترين دي سين في القرن الرابع عشر سفيرة إلى أفنيون إلى حضرة البابا وحكمة مرعيتنا دوجة سافورا بلاد القاع على عهد ابن أخيها شارل الخامس وكثيرات من الأميرات في ذلك العهد تولين الأحكام وتعاطين التجارة والإدارة ومنهن من عملن في كليات إسبانيا وإيطاليا.

ولما جاء القرن الخامس عشر والسادس عشر انقلب الأمر فكانت من نتائج الإصلاح الديني أن اتجهت الأفكار نحو إحياء العبرانية ومصطلحاتها كما كان من نتائج النهضة الاتجاه صوب الأوصاف اليونانية بيد أن الصليم الذي كان لا بأس به ويلقنه الفتيات في الأدبار قد حرم من بعده إفعالها.

فالتربية التي حيل دون النساء خلال ثلاث قرون الأخذ بها في الغرب قد بدأت بتربيتها فأتج ذلك تلك الحركة الأدبية الباهرة في القرن الثامن عشر في فرنسا وبريطانيا العظمى وما كان عزوف نساء إسبانيا عن الاختلاط واعتزالهن اعترال الشرقيات في خدورهن وجهلهن إلا سبب انحطاط أمتهم.

يجب أن يصبح النساء أمهات قبل كل شيء ولهذا وجب عليهن أن يقوين مداركهن وينرن عقولهن. إن مميزات الرجل ومميزات المرأة متمم بعضها للآخر وهي ضرورة لارتقاء المجتمع.

الارتقاء الذي نتخيله للمستقبل وكل تغيير يحدث في تربية المرأة وفي قبولها في الأعمال الخاصة اليوم بالرجال يجب أن يجري على فكر عملي وعلى طريقة التجربة وباحتراز واحتياط وأن يلاحظ فيها الأخلاق القطرية في المرأة ويميز بينها وبين الصفات الثانوية الخ.

هذا ما حكم به العلامة المشار إليه على المرأة وهو الحكم المعتدل لعقول أما نحن فعلى رأيه نحب أن تكون المرأة أما قبل كل شيء ولكن أما مهذبة التهذيب الراقى في الجملة تخفف عن الرجل عناءه وتنشل هذا المجتمع من سقوطه فتأثير المعلمة الواحدة أكثر من ألف جاهلة وأنا موقون بأن ارتقاء المرأة البلغارية واليونانية والصربية كان أعظم باعث لارتقاء تلك الأمم والظفر بنا في مواقع الدفاع عن دمارنا ودبارنا لجودة سلاحهم وكثرة نصارهم أما نحن فقد حررنا التربية البيئية كما حررنا التربية

المدرسية وهذا جماع الخطاطنا. فريد لنساء الإسلام التعليم الابتدائي الراقي الآن ثم ترقى درجته.

معادن القطر المصري

أنشأ المستر جون والس المفتش الأول في مصلحة المعادن المصرية سابقاً نقالة شائقة عن المعادن في هذا القطر قال فيها:

اختلف الناس في مسألة التعدين في القطر المصري في السنوات العشر الماضية ونصارت آراؤهم فيها فوضعها بعضهم موضع الخبز والسخرية وأحلها آخرون محلاً رفيعاً من الاهتمام ولا سيما الذين جالوا في هذا القطر وجابوا صحاريه وتمكنوا من مشاهدة الأعمال التي عملها القدماء لاستخراج الذهب والنحاس والحجارة الكريمة والتقيب فيها. فالحصون القديمة والآبار والمخاطات التي لا تزال آثارها ماثلة إلى اليوم تشهد على ما بلغته مصر من حسن النظام في عهد حكامها الأقدمين وكذلك اتساع بعض المناجم القديمة والطرق التي كانت تستخرج بها المعادن لا تترك محالاً لتخوص المتخصصين.

ولكن الناس في أيامنا هذه لا ينظرون إلى الشيء من الجهة الخيالية بل ينظرون إليه من الوجهة المادية أو الربح الذي يعود عليهم منه. فهل المعادن التي في مصر كافية لأن تكفل الربح للذين يستخرجونها والفائدة للقطر المصري؟

ومن رأيي أن المعادن موجودة في مصر بكميات وافرة تعود على القطر بفائدة اقتصادية كبيرة ولكن بشرط أن تعير الحكومة المصرية هذه المسألة الاهتمام اللازم وأن تشجع رواد التعدين في بلادها وأن تحسن شروط الامتيازات الحاضرة وتحمي مصالغ أصحابها أكثر مما تحميها الآن. ولا يسعني المقام في هذه العجالة أن أبحث في

مسألة التعدين بحثاً مستفيضاً فأحصر كلامي لذلك في المعادن التالية وهي أهم المعادن التي في مصر.

الذهب - في الصحراء الشرقية كثير من المناجم القديمة وبعضها كبير جداً ولكن ظهر من الأبحاث التي أجريت فيها أن استئناف العمل فيها بنمط عظيم لا يعود بربح يذكر على الشركة أو الشركات التي تقوم به إلا أنه يستدل من العروق الغنية التي في تلتك المناجم أن استئناف العمل فيها قد يعود بالربح على الشركات الصغيرة أو المعدنين الذي يملكون رأس مال كان للقيام بذلك. ولا مشاحة في أن الأبحاث التي أجريت في مصر إلى الآن كانت قاصر جداً ولا يعد أن تؤدي الأبحاث المقبلة إلى اكتشاف رواسب مهمة جداً من التبر اللين في الصخور المتلورة والمتكتلة.

وقد اظهر التعدين في بعض المناجم ولاسيما في منجمي أم يارت برامية ما خصت به عروق الذهب ففي بعض الطبقات الصخرية في مصر من الغنى فإن هذين المنجمين استخراج منهما ما قيمته مئتا ألف جنيه من الذهب الإبريز من كمية قليلة من التبر والدلائل كلها تدل على أنه لا يعد أن يعثر على عروق تكون غنية بتبر الذهب مثل العروق التي عثر عليها في الأيام الغابرة.

النحاس - موجود في أماكن عديدة ولكن لا يؤمل أن يكون من استخراج ربح يذكر في أي مكان من الأماكن الموجودة فيها تبره.

الرصاص - موجود في الطبقة الطباشيرية المتوسطة من طبقات الأعصر الثلاثية وفي الصخور الكلسية التي في سواحل البحر الأحمر بين الدرجة ٢٦ والدقيقة ٣٠ والدرجة ٢٤ من العرض الشمالي بكثرة تدعو إلى البحث عنه على نمط عظيم. وقد اهتم لأمره في جبل الرصاص منذ أربع سنوات أو خمسة.

الزمرود - في سقايط وأم حربة وسواهما مناجم قديمة لاستخراج الزمرود وبعض هذه المناجم كبير جداً وقد بلغ العمل فيها أعظمه في العصر اليوناني الروماني واستأنفت شركة من شركات المستر سنتر العمل فيها على نمط صغير فغثرت على حجارة جميلة من الزمرود ولكن الشركة لم توال العمل ولم تكن مهتمة به الاهتمام اللازم علاوة على أن أحوال المعيشة في الصحراء الشرقية كانت غاية في الصعوبة ولم تكن أسباب الوصول إليها سهلة في تلك الأيام مما جعل مواصلة العمل فيها ضرباً من الخيال.

الزبرجد - يوجد منه حجارة جميلة في جزيرة القديس يوحنا (جزيرة الزبرجد) الواقعة إزاء رأس بناس في درجة ٢٤ من العرض الشمالي. وفي هذه الجزيرة شركة إنكليزية فرنسوية تستخرج حجارة الزبرجد منها الآن.

المغيس - يوجد أكسيد المغيس في شبه جزيرة سيناء وهو طبقات متسعة في دوائر كبيرة يبلغ سطح الدائرة منها عدة أميال مربعة وهذه الدوائر تعد الآن ليستخرج منها المغيس حتى تسهل سبل النقل والشحن.

الحديد - يوجد طبقات متسعة من معدن الحديد إلى الشمال من رأس بناس ولكنه يحتوي على كمية كبيرة من التيتانيوم ولا ينتظر أن يأتي في حالته الحاضرة بفائدة اقتصادية تذكر.

الفوسفات - القطر المصري أغنى بلاد العالم بصخور الفوسفات وهي توجد بمقادير عظيمة في سواحل البحر الأحمر بين الدرجة ٢٦ والدرجة ٢٧ من العرض الشمالي وفي الضفة الشرقية من النيل جنوبي قنا وفي الواحيتين الداخلة والخارجة. أما في الطبقات التي في سواحل البحر الأحمر فإن شركات عديدة تعمل فيها الآن لاستخراج الفوسفات منها وكل الدلائل تدل على أنها متجح نجاحاً باهرًا. والأفكار متجهة

الآن إلى استخراج ما فوق الفوسفات (سوبر فوسفات) والأبحاث جارية الآن في ذلك.

الزيت - تقدمت الأبحاث التي بدى بها في خليج السويس منذ بضع سنوات تقدماً عظيماً فثبت منها أن مقادير كبيرة جداً من زيت البترول موجودة على عمق غير بعيد في رأس حمسه. والزيت التي ظهر هناك من أعلى الأصناف وأجودها ويحتوي من ١٥ إلى ٣٠ في المئة بتريناً ومن ٣٠ إلى ٤٠ في المئة من زيت الإضاءة وقليل من زيت الثخين الذي يعمل في تربت الآلات ومن ٣ إلى ٦ في المئة من الشمع ولا يحتوي شيئاً من زيت الوقود أو الفضلات. ولكن مستقبل الزيت في القطر المصري يتوقف بالأكثر على وجوده في الطبقة الرملية التي يختلف عمقها بين ٢٦٠٠ و ٣٥٠٠ قدم فإذا ظهر من المباحث التي يجريها الآن أنه موجود في هذه الطبقة صارت مصر في مقدمة البلدان التي تستخرج الزيت.

الملح - موجود في القطر المصري بمقادير كبيرة جداً وتختلف سماكة الطبقات الموجودة فيها من بضعة أقدام إلى ألف قدم.

الصودا - توجد كربونات الصودا بمقادير وافرة جداً في وادي النطرون والصحراء الغربية.

حجارة البناء الثمينة - في الصحراء الشرقية بالقطر المصري أجمل أنواع الحجارة التي تعمل في زخرفة الأبنية وتزويقها وأشهر هذه الحجارة وأجملها كلها الحجر السماقي الأحمر (البرفير) الذي في مقاطع جبل الدخان والحجر الناري اللماغ (ديوريت) في مقالع كلوديانوس.

صلصال الخزف - في القطر المصري نحو ستة آلاف نفس يشغلون بضع مواعين الخزف البسيطة. والأتربة الصالحة لصنع جميع الأنواع من الخزف القاسي المشوي

والمواسير موجودة بكثرة في مصر ولكن لا يتظر أن تتقدم هذه الصناعة إلى حد نصير كافية لسد حاجة القطر وإصدار شيء منها إلى الخارج إلا بعد أن تحل مسألة الوقود وترخص أثمانها ويسهل الوصول إليها.

الوقود - لم يبحث إلى الآن عن الوقود عدا زيت البترول بحثاً وافياً. والخطب المتحجر في صعيد مصر لا يقابل بسائر أنواع الفحم التي ترد من الخارج فهو والحالة هذه من أدنى أنواع الوقود وأقلها قيمة ولكنه يحتوي على كمية كبيرة من الكربون وقد يمكن تحويلها إلى غاز محترق بواسطة أحد الأجهزة الملائمة فإذا تحقق ذلك سهل الانتفاع بالطبقات الدلغانية التي تكثر في الصعيد واستخدامها في إدارة الآلات الرافعة وغيرها من الأعمال الصناعية.

وقد لا يعد أن يوجد الغاز في حالته الطبيعية بجوار السويس وحلوان والأحوال الجيولوجية هناك تحمل على إجراء المباحث بهذا الصدد.

الفحم - لا دليل إلى الآن يثبت وجود الفحم في مصر ولكن يحتمل العثور على فحم تجاري في شبه جزيرة سيناء إذا بحث عنه بحثاً منتظماً إلا أن معلوماتنا الجيولوجية القديمة عن تكوين الصخور الكربونية في سيناء لا تخولنا إبداء رأي قاطع في هذه المسألة المهمة.

دول الحضارة

بحث إحدى مجلات الأوربية عن مساحة الدول الثلاث ألمانيا وإنكلترا وفرنسا وعن عدد نفوسها وثروتها العامة وأوردت سكانها وحكومتها وتجارها الخارجية ومحصول بواخرها التجارية والحربية وجاء فيها ما يلي:

مساحة أراضيها عدد سكانها زيادة النفوس

ألمانيا ٥٤٠.٨٥٨.٦٤.٩٢٦.٠٠٠.١٣ في الألف

إنكلترا ٣١٣.٦٠٧.٤٤.٩٠٢.١١.٠٠٠.

فرنسا ٥٣٦.٤٦٣.٣٩.٦٠٠.٨.١.٠٠٠.

الثورة العمومية الواردات السنوية العامة

ألمانيا ٣٤٠ مليار فرنك ٥٠ مليار فرنك

إنكلترا ٤٥ ٣٢٠.

فرنسا ٢٥ ٢٨٧.

واردات الحكومة سنوياً (عن سنة ١٩١١)

ألمانيا ١٠ مليارات فرنك

إنكلترا ٥

فرنسا ٥

التجارة الخارجية محمول السفن التجارية (عن سنة ١٩١٢)

ألمانيا ٢٤ مليار فرنك ٣٠.٢٣ ألف طن

إنكلترا ٢٧ ١١٦٨٣.

فرنسا ١٤ ١٤٦٢.

محمول السفن الحربية

ألمانيا ٩٩٥٤٠٠ طن

إنكلترا ٦٠ ١٦٥٠٠.

فرنسا ٦٤٣٠٠٠.

فضل القراءة

خطب إرنست لا فيس عالم الفرنسي ومؤرخهم في إحدى القرى في فرنسا خطبة
غلي من أئقوا دروسهم من أبناء الفلاحين قال: يا أولادي الأعزّة. أخاف أن يكون

بينكم من يغادرون منكم المدرسة الآن أناس يقولون في نفوسهم: لا دروس ولا فروض ولا دفاتر ولا كتب خالص من كل هذا. فإني أمثال هؤلاء أوجه كلامي أريد أن أزيل عنهم ما اتخذوا به. كالا أيها الأصحاب الصغار ليس الأمر كذلك ولم يقف عند هذا الحد. فإن زمان الدراسة قصير لا يتأني تخريج رجل في خلاله فالواجب أن تظفوا على طلب الاستفادة والعلم ولكنكم ستقولون أنكم مضطرون أن تعمل لتعلم كيف تعيش. أعرف هذا وثقوا بأني لا أرغب في أن يقضي جماع الفرنسيين حياتهم على نحو ما يقضيها أهل صناعتي في القراءة والكتابة جالسين على الكراسي. فسترون الآن بأني لا أطلبكم بما يشق عليكم القيام به مهما كان نوع الحرفة التي تحترفون.

يجب عليكم أن لا تتوقعوا من أساتذتكم كل قديكم وأن تتعلموا أن تكونوا أساتذة أنفسكم فأنتم لا تدركون كم يعمل المرء في إلهاض نفسه إذا أراد. وما من امرئ ينهض بكم أكثر من فروضكم بأنفسكم. إني آمل بادئ بدء منكم أن تبفوا كتبكم المدرسية عندهم وربما لم تروقكم مطالعتها واستظهارها واللعب يشغلكم ولكنكم الآن لستم مضطرين إلى تلاوتها لاستظهارها بل تلوها متى راقكم وعلى النحو الذي يروقكم.

بعد أيام قليلة إذا أمطرت السماء ذات يوم أو كان اليوم يوم أحد تذكروا بأن الصفحات الفلانية من الكتاب الفلاني قد أعجكم فأعيدوا قراءتها وأني لا أعجب إذا لم ترفكم أكثر من ذي قبل لأنكم تفهمونها أحسن لسبب الأول لأنكم في سن السنو العقلي والثاني لأنكم تقرأون لا لتسمعون بل للتلذذ.

في كل مديرية من مديرتنا دروس ومحاضرات تلقى على الكبار في الأعمار فاحضروها وفي كل مدرسة مكتبة فاسعروا من كتبها وابتاعوا كل مدة كتاباً ولا

تكثرُوا بل اكتبوا بثلاثة أو أربعة كتب في السنة فالكتب اليوم رخيصة وبضعة
فرنكات تكفي لأن تؤلفوا منها مكتبة حافلة بالحملة وتصبحون مثلاً لأبناء الطبقة
الوسطى ممن لا تحديثهم أنفسهم أن يتاعوا كتاباً واعتوا مهما كان نوع المسكن الذي
تكون فيه أن تنصوا لكم لوح خشب تضعون عليه كتبكم وغطوها لتأمن من
الغار واللوات. ومن اللائق أن تكون الكتب مغطاة أحسن تغطية وإن تقدمتم قليلاً
في السن عودوا أنفسكم تلاوة الجرائد فتجدون في جرائد الشعب مادة تثيرون بها
عقولكم في الحوادث العظيمة التي تجري في بلادكم وبلاد العالم أجمع.

أنتم هنا من أبناء المزارعين وسكونون كذلك في المستقبل والشتاء والليالي طويلة في
المرعة فالأولاد يرقدون في فراشهم والحيوانات في حظائرهم ولا شيء يشغلهم في
الليل فكيف بقضاء الوقت النافع وقد كان الزارع في القديم يحك كزوجته جوارب
وغيرها وقد أهملت هذه العادة. وقيل لي أن عادة قضاء السهرات والزيارات بين
الجيران قد بطلت أيضاً. دقائق الساعة يروح ويحيء في السكون فكأنه يعيد الحياة
قطرة قطرة ويقول عند كل دقة ها قد سقطت نقطة أخرى والمرء من وراء ذلك
يكتب ويميل. ولكل حرفة ساعات من الملل تشبه هذه.

افزعوا إذا انقطعتم عن العمل لتلاوة كتاب وقرأوا بصوت جهوري وكرروا ما
تقرأونه فقد كان خالي في هذه القرية عشاباً فلاحاً وهو يتلوا قصص لافونتين آونة
فراغه لم يبق على غيرها من كتبه المدرسية فكان يتلها بتدبر في خلواته وجلياته
بصوت عال وبأدبها تأدب وبحكمتها قضى حياة طيبة أوقات الفراغ فدفعت عنه
الملل.

أما أنتم فعصركم عصر لا يجوز فيه اللغو فقد طويت المساوف في الأرض وكانت من
قبل واسعة الأطراف بحيث تكفي المرء الآن بضعة أسابيع ليظوفها وبعض الثواني

لبعث بفكرنا بل بصوتنا إلى أبعد ألوف من الكيلومترات وقد قربنا من السماء والنجوم قريبة من مجهر الراصد والتحرر بما فيها من الأودية والجبال المرسومة على خارطة كأنها تشير وتنادي ببحانة يبحث فيها. وقرب ما بين القطبين الشمالي والجنوبي وأرباب الرحلات اقتربوا منها والجبال قد حقرت وجعلت في بطونها الأنفاق والطائرات تحوم من فوق قسما والثلوج ترى عليها فرقها إلى قدمها والترع تحيط بالأرض وقد فتحت والصحاري بعدت إلا بالحديد الذي يحرقها وهامهم يحفظون الآن سكة حديدية بين المحيط الأتلانتيكي والبحر الهندي والبحر الرومي والبحر الجنوبي. وممالك أوروبا القديمة تشي ممالك في القارة السوداء وسيكون من هذا الاختلاط أجناس جديدة وأمم لا يعلم مستقبلها كما لم يكن يعلم مستقبل أوروبا منذ خمسة آلاف سنة حكماء مصر ولا بلاد كنعان. لم تكن أوروبا في عصر من العصور أعمل منها الآن أخذت شعورها تتحاب وما قط أحب أحد وطنه حبه له الآن والحروب وإن يوم انتشيت فسيأتي يوم تقلمس كل الأمم معبد الهامي أو قصر السلام الذي يؤمل دعاة أن تثبت كلتهم في الشعوب فيبطل الحروب.

الأمم تطمع في الحرية أكثر من قبل وهما التيجان قد اصفر وفي كل مكان انتشر الفكر الديمقراطي واضطر الحكومات إلى العناية بكل ما يجعل الحياة موطدة الأركان. والعلم لا يزال يرتقي في المكاتب والمعامل الكيماوية والصناعية وفي كل يوم خبر عظيم. أول أمس بلغنا أن يابانياً من تلامذة باستور اكتشف في معمل كيماوي في أميركا ميكروب الكلب وأمس وصل علم الطائرات في الهواء إلى ما وصل فماذا تعلم عدا.

ولذا أوصيكم ألا تقفوا معزولين عن هذه الحركة وجاهلين بزمانكم وبلادكم أي أناس بدون تاريخ ولا وطن. إنكم بذلك تحطون ولا يكون لكم ما تفاخرون به فعليكم

أن تتعلموا بكل الطرق: بإطالة المكث في المدرسة، بالقراءة، بإطالة الروية في تجارب الحياة. تقومون اليوم بشيء وعداً بآخر على التدرج تزداد معلوماتكم وتنسق في رءوسكم وتنشأ مادنتكم من الأفكار والعواطف فتعرفون زمانكم وتحسنون كيف تعيشون. وأحتم كلامي بتوصيتكم باقتناء لوح خشب تضعون عليه كتبكم وأعدكم بأني أعطي لوحاً لمن يطلبه مني وهو مدحون وملمع أيضاً. اهـ.

المرأة القديمة

حاضر المسيو بلفه من أعضاء مجمع العلوم في باريز نادي الطلاب في تلك العاصمة فيما كان للمرأة في القديم من التأثير العقلي والأدبي ومما قاله: إننا نتخيل بأننا ننهور ونتدع شيئاً جديداً لأننا نفتح السبل أمام المرأة والفتاة اليوم للتوافر على دراسة العلوم والآداب والصناعات العقلية وهذا وهم لا حقيقة وذلك لأننا نحن أخلاف الرومان مباشرة أولئك الذين رزقوا عقولاً لا تحب الحقيقة المجردة وفيها من المتانة شيء كثيرٌ ولكنها قصيرة قصر سيوفهم لخدع بحسارة محتبنا الحاضر ونظن أننا أتينا أمراً فرياً. ولكل إذا رجعنا إلى الأمم التي كانت أعظم الشعوب في إشراك غيرها بشرات الارتقاء البشري وكانت الموحدة الحقيقية للمدنية وأعمى بهم اليونان ومصر ولاسيما آشور يثبت معنا أن المرأة شاركت الرجل منذ العصور القديمة لا في الجمال فقط بل في البحث عن الحقيقة. والظاهر أن المرأة في تلك القرون التي كان فيها الرجال أقرب إلى الطبيعة بما خصت به من الإدراك هي الدليل البصير الفطري تقود الرجل في أبحاثه الطويلة المعقولة المدققة. ولقد تجلّى تأثير النساء العرافات عند جميع الشعوب اليونانية الذين كانوا تلامذة كهنة بلاد آشور وكلدية. فقد كان الفيلسوف فيثاغورس ناشر تعاليم العلم الآشوري في يونان يحو على امرأته تيانو الجميلة حنو حب وعبادة ومن فلسفته أن الرجل اخص بالعقل والقوة المنطقية والمرأة بالنظر

العقلي فإذا كان الرجل في هذا العالم الغريب في أسراره مفكراً فإن المرأة ناشرة للأفكار.

وكان هذا الفكر الذي هو نتيجة الأزمان القديمة والمأثور عن كهنة الوثنيين والبابليين على الجملة جامع العلوم المأثورة عن البشر وهذا الفكر هو الذي تترجم عنه للجمهور أساطير اليونان ومصر وما كان للمرأة من الشأن في مواعظ الوحي الغربية فكان النساء العذارى في غابة دودون المظلمة المختصات بعبادة المشتري من اللاتني يحسن التعبير عن اللغة السيلية المنبعثة من البلوط المقدس وكان العذارى أيضاً في غابة سيكلوب عن عمد الكرنك يستقبلون حجاج المصريين الذين يسألون الهوى تعالى. ولقد قام في دودون والكرنك على ما جاء في أساطير هيلاد ومصر فتاتان أخذتا أسيرتين من مركب فينيقي وهما اللتان أنشأتا المعبدتين وأصبحت كاهنتين وسماههما اليونان الرسولتين أي الناقلتين من بلاد القاصية الحقائق الجديدة.

الفلاح الغربي

يختلف التعليم في أوروبا وأميركا باختلاف البلدان فتعليم البلاد التي تغلب فيها الصناعات غير تعليم الأقاليم الزراعية والكور التي يكثر بها التجار غير الكور الساحلية البحرية وتعليم بلاد الغابات غير تعليم بلاد البقول والزرع وأقاليم المعادن والمناجم غير تعليم الصيد البحري وهكذا يلحق أطفالهم التعليم الذي يناسبهم ويتعدى العلم قصور الأغنياء إلى أكواخ الفقراء ويشترك بالنور المدني والقروي وترتقي الأمة بمجموعها والبلاد بجملة أطرافها.

وبقد عرف الغربيون أن العمل الزراعي يشبه معماً ومهماً تقلبت عليه العناية والتحسين لا يزال عبارة عن منزل ولا يصلح الفلاح إن لم يصلح تدبير البيت وبذلك يتأني له أن يتفح الانتفاع المطلوب من تربية الحيوان والألبان كما يتفح فلاح

الدانيمرك مثلاً فتقل موفيات الأطفال بانتشار المعارف الصحية وتقل السرقات والموبقات بتعليم الفلاحين جوهر الدين الصحيح وتعلم الأم الفلاحة فتخرج الفلاحين الصالحين.

قالوا أن الغربيين أكثروا لفائدة الرجال من تأسيس المعاهد لتكميل الرجل الفلاح في صناعته ولم يكتفوا بالمدارس فقط بل عنت به الجمعيات والنقابات وكثرت عليه محاضرات والمسابقات والمعارض يرى فيها الأدوات وتحسينها وأنواع الزراعات ونحوها وأن بعض بلدان الغرب اقتصرت من تعليم الفلاحين القدر الكافي من الدروس الابتدائية وحسبتهن في فن الدجاج والمطبخ ومعمل اللبن يعملن ما خلقن له والفنة فلم تحصل لمن أنسة بالأساليب الزراعية الحديثة ليتفعلوا على ما يجب من الألبان والبيض والطيور.

رأت بعض الأمم أن المدارس الزراعية وغيرها لا تفيد الفائدة المطلوبة من إنارة عقول جميع أبناء القرى القاصية كما تنار عقول القرى الدانية فأنشأت مدارس مؤقتة سيارة تقيم في القرية بضعة أسابيع تعلم أهلها ما يلزمهم لحسين حالهم وتقوم بعمليات سريعة وإن كانت غير منتظمة قليلاً ولا تامة ولكنها نافعة في الجملة.

لسويسرا مدارس للخدمات ومدارس لإتقان تدبير المنزل ومدارس عالية لتعليم المعلمين والمعلمات في الفنون وأنشأوا في إيرلاندا وبولونيا وهنغاريا جمعيات نسائية وأنشأ النساء في القسم الفلامندي من بلجيكا أندية الفلاحات وهي عبارة عن مجتمعات ومدرسة للنساء والبنات معاً بل هي ضرب من الكليات الشعبية وفرع للإناث من مدرسة جامعة للعامية يعنى فيها بالتعليم الصناعي والأخلاق المحلية وهي لمن خير ملاحجى تزويهن.

تكلم أحدهم في جريدة الطان على هذه الأندية فقال أن برنامج التعليم فيها يدهش بسعته وقد تبين مع هذا أنه أسفر عن نتيجة حسنة لما دل من الكلام عليها في المؤتمر الدولي الثالث الذي عقده القانمات بهذا الأمر من البلجيكيات من مدينة غاند فظهرت بالأرقام فائدة هذه الأندية التي بلغ عددها في تلك البلاد الصغيرة فقط ١٨٣ منتدى فيه من الداخلات ٢١. ٤٠٦ نسوة وانتشرت الأندية في بولونيا والولايات المتحدة وغيرها انتشار الحانات من جديد في بلادنا. أما برنامج الدروس التي تعلمها الأندية للبنات والنساء فهي علم ولادة الأطفال وتربية أجسامهم وعلم التربية والتعليم وصحة البيت والاصطبل وقواعد التغذية المقوية الاقتصادية ومضار الألكحول والإسعافات الطيبة المؤقتة للمرضى والجرحى ونظام القن وأصول عمل الجبن والسمن وتربية الطيور وتربية الأشجار وتربية النحل وتعهد الماقل وعلم عمل المربيات والحلاوى وعلم الحساب ومضار الاشتراء بالدين والحياطة وتفصيل الثياب والغسيل والكي واحترام التقاليد وطاعة مبادئ الخلاق الدينية.

وبالجمله يتعلمن دائرة معارف محصورة سهلة يعلنها بناتهن ونساؤهن في القرى ليجبن فلاحين صالحين ويتوفرن على حسن استثمار الثروة من الأراضي والحيوان ويعشن عيش المرفهات الطاهرات المقتصدات والنساء في بلجيكيا هن اللاتي أخذن على عاتقهن هذا الواجب مع القسيسين في أميركا يتولى ذلك المبشرون والكهنة وكذلك في بولونيا.